الكوثر والحوض من الخصائص النبوية

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٠٦ السنة الواحدة والخمسون - جمادى الآخرة ١٤٤٣ هـ
الثمـن ٥ جنيهات

رفع أجهزة الإنعاش عن المريض

المناهج التربوية الإيمانية في القرآن

اهتمامات بالأسرة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب

تذكير النُّبَلاء ببيان فضلِ الغربة وقوة الغُرَباء

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام
أ.د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارًا أو ٢٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما

السلام عليكم

تصحيح مفهوم

يخلط الكثير بين مذهب بعض العلماء الفقهي، وبين مذهبه العقدي، فيقول مثلاً الحنفية ماتريدية أو كلابية، والمالكية والشافعية أشعرية، والحنابلة سلفية.

وهذا غير صحيح، فكثير ممن ينتسب إلى المذاهب الأربعة وغيرها ينتسب إليها انتسابًا فقهيًا لا عقديًا، وإلا فأئمة المذاهب الأربعة أعلام الإسلام لم ينتسبوا لما سوى السُّنَّة قط.

قال الإمام ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/٣٠٧): «ولا يُلتفت إلى مَن أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته.

وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في بعض اعتقاداتهم».

وقال أبو المظفر الإسفراييني في (التبصير في الدين ص١١٤): «قد نبغ من أحداث أهل الرأي مَن تلبَّس بشيء من مقالات القدرية والروافض مقلدًا فيها، وإذا خاف سيوف أهل السنة نسَب ما هو فيه من عقائده الخبيثة إلى أبي حنيفة تسترًا به؛ فلا يغرنك ما ادعوا من نسبتها إليه؛ فإن أبا حنيفة بريء منهم ومما نسبوه إليه».

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلدًا من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

فهرس العدد

تسبيح المخلوقات لخالقها	د. عبد الله شاكر	٢
باب التفسير	د. عبد العظيم بدوي	٥
باب السنة	د. مرزوق محمد مرزوق	٨
خطورة الغياب عن إصلاح الشباب	د. عماد محمد علي عيسى	١١
رفع أجهزة الإنعاش عن المريض	الشيخ صلاح نجيب الدق	١٤
فقه المرأة المسلمة	د. عزة محمد رشاد	١٧
غزوة بدر	د. سيد عبد العال	٢١
الكوثر والحوض من الخصائص النبوية	الشيخ معاوية محمد هيكل	٢٤
حكم زواج التحليل	د. محمد عبد العزيز	٢٨
المناهج التربوية الإيمانية في القرآن	د. عبد الوارث عثمان	٣٢
واحة التوحيد	علاء خضر	٣٦
دراسات شرعية	د. متولي البراجيلي	٣٨
باب الفقه	د. حمدي طه	٤١
شهر جمادى الآخرة أحداث وتاريخ	الشيخ أحمد عز الدين	٤٤
من روائع الماضي	اللجنة العلمية	٤٦
دراسات قرآنية	الشيخ مصطفى البصراتي	٤٨
باب الأسرة	د. جمال عبد الرحمن	٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية	الشيخ علي حشيش	٥٣
نماذج تحتذى من أئمة وأعلام السلف	د. محمد عبد العليم الدسوقي	٥٧
القرآن منهج وعمل	د. عادل العزازي	٦١
الفطرة السوية طريق السداد والرشاد	د. فيصل بن جميل غزاوي	٦٤
مقالات في معاني القراءات	د. أسامة صابر	٦٨
خلق يحبه الله	الشيخ عبده أحمد الأقرع	٧٠

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ،الإمارات ٦ دراهم ،الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

٩٢٠ جنيها ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

تسبيح المخلوقات لخالقها

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

وبعد: فقد أخبر الله في كتابه أن جميع خلقه يسبّحونه سبحانه وتعالى؛ فقال في كتابه الكريم: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (الحشر: ١).

قال ابن كثير في تفسيره: «يخبر الله تعالى أن جميع ما في السماوات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجّده ويقدّسه، ويصلي له ويوحده». (انظر: ج٤/ ٤٣٤).

وهذا العموم الوارد في تسبيح جميع الكائنات يدخل فيه الجمادات والحيوانات، وقد نص عليهما القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ» (النور: ٤١).

فقد أفادت الآية: كل من في السماوات والأرض يسبح لله، كالملائكة والإنس والجن، والجماد والحيوان والطيور، وقد خصّ الله في هذه الآية الطير بالذكر ليشير إلى أن الكائنات التي بين السماء والأرض تسبح لله.

قال البغوي رحمه الله: «قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان، لأنها تكون بين السماء والأرض، فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض». (تفسير البغوي، ج٣/ ٣٥٠).

وقد جاء في القرآن الكريم إثبات التسبيح صراحة لكل هذه العوالم مفصلة، فقال تعالى عن الملائكة: «وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الزمر: ٧٥).

وأمر الإنسان بالتسبيح فقال تعالى: «فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ» (الواقعة: ٧٤). وأمر به النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص فقال موجهًا الخطاب إليه: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ» (الحجر: ٩٨).

وقد أمر زكريا عليه السلام قومه بالتسبيح شكرًا لله على نعمه عليه فقال: «فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» (مريم: ١١).

وقال عن الرعد: «وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ» (الرعد: ١٣).

وقال تعالى عن تسبيح السماوات السبع والأرض

ومن فيهن: «تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» (الإسراء: ٤٤).

وقال عن تسبيح الجبال: «إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ» (ص: ١٨).

وقال عن تسبيح الطير: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ» (الأنبياء: ٧٩).

فهذه المخلوقات جميعها المشار إليها إجمالاً وتفصيلاً كما جاء في الآيات السابقة تسبح بحمد الله تعالى على الحقيقة، وتقوم بواجب الشكر لله جل في علاه، وهي تسبح بلسان المقال.

وقد اشتملت السنة النبوية على أحاديث كثيرة توضح أن هذه الجمادات والحيوانات لها إدراك وتعرف خالقها وتسبحه، وقد ثبت في الحديث حنين الجذع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه قال: كانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا علَى جُذُوعٍ مِن نَخْلٍ، فَكانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذَا خَطَبَ يَقُومُ إلى جِذْعٍ منها، فَلَمَّا صُنِعَ له المِنْبَرُ وكانَ عليه، فَسَمِعْنَا لِذلكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حتَّى جَاءَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ. (البخاري ٣٥٨٥).

قال البيهقي رحمه الله: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف، وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكا كالحيوان، بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل قوله تعالى: «وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» (الإسراء: ٤٤) على ظاهره. وقد نقل ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال: ما أعطى الله نبيًا ما أعطى محمدًا صلى الله عليه وسلم، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، قال: أعطى محمدًا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع حتى سمع صوته؛ فهذا أكبر من ذلك. (انظر: فتح الباري ج٦/٦٠٣).

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرِف حجرًا بمكة كان يُسلم عليَّ قبل أن أُبعث، وإني لأعرفه الآن». (صحيح مسلم ٢٢٧٧).

وقد ثبت أن الطعام سبح وهو يُؤكل، كما في البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ، فَقالَ: اطْلُبُوا فَضْلَةً مِن مَاءٍ، فَجَاؤُوا بإنَاءٍ فيه مَاءٌ قَلِيلٌ، فأدْخَلَ يَدَهُ في الإنَاءِ، ثُمَّ قالَ: حَيَّ علَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، والبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ، فَلقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِن بَيْنِ أصَابِعِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وهو يُؤْكَلُ. (صحيح البخاري ٣٥٧٩).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع جبل أحد فقال: هذا جبل يحبنا ونحبُه، اللهم إنَّ إبراهيم حرَّم مكة، وإني حرمت ما بين لابيتها. (صحيح البخاري ٤٠٨٤).

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله أقوال العلماء في معنى هذه المحبة ومنها: إن الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره، لكون أُحُد من جبال الجنة، كما ثبت في حديث أبي عيسى بن جبر مرفوعًا: «جبل أُحد يحبنا ونحبه، وهو من جبال الجنة، ولا مانع من إمكان المحبة منه كما جاء التسبيح منه، وقد خاطبه صلى الله عليه وسلم مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب: «اسكن أُحُد». (فتح الباري، ج٧/٣٧٨).

وهذه الأحاديث سمعها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وآمنوا بها، وسلموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله، وهم أتم الناس إيمانًا وأغزرهم علمًا وأقلهم تكلفًا، وقد ذهب إلى ذلك جميع أهل السنة والجماعة رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم.

قال الصنعاني رحمه الله: بعد أن ذكر طرفا من الأحاديث التي تثبت التسبيح لبعض الكائنات: «ولم تزل الصحابة ومن

تبعهم مؤمنين بذلك، قد فهموا عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم المراد من غير غلوٍ ولا تقصير، ولم يحملوا كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما لم يحتمله، ولا قصروا به عن مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، كإيمانهم بجبريل ينزل عليه ويتمثل له رجلًا، فيكلمه بكلامه وقد يسمعه من إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم، وصدقوا بأنه يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس، ولا يسمعه غيره من الحاضرين، وآمنوا بأن الجن يتكلمون ويتحدثون بالأصوات المرتفعة بيننا ولا نسمعهم، وقد كانت الملائكة يضربون الكفار، وتصيح بهم، والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم، وقد كان جبريل يُدارس النبي صلى الله عليه وسلم ويقرئه القرآن والحاضرون لا يسمعون، وآمنوا بذلك كله» (إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة: ج١/٣٤٨).

وقد قرر أئمة اللغة أن التسبيح الواقع من المخلوقات على حقيقته وإنها تسبح بلسان المقال.

قال الإمام أبو منصور الأزهري رحمه الله عن ذلك: ومما يدلك على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيح تعبّدت به قول الله جل وعز للجبال: «يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ» (سبأ: ١٠). ومعنى: أوبي: أي: سبحي مع داود النهار كله إلى الليل. وكذلك قوله جل وعز: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ» (الحج: ١٨): فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقهها عنها، كما لا نفقه تسبيحها، وكذلك قوله: «وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» (البقرة: ٧٤)، وقد علم الله هبوطها من خشيته، ولم يعرفنا ذلك، فنحن نؤمن بما علمنا، ولا ندعي بما لم نكلف بأفهامنا من علم فعلها كيفية نحوها. (انظر: تهذيب اللغة: ج٤/٣٤٠).

وما قاله هذا الإمام هو الحق الذي تؤيده الأدلة السابقة وإيمان الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم المحققين بها.

وحملها على الحقيقة، لا المجاز، ولكن بعض أهل الكلام ذهب إلى تأويل ذلك، وقالوا: بأنها تسبح بلسان الحال: حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته، فكأنها تنطق بذلك، وكأنها تنزه الله عز وجل مما لا يجوز عليه الشركاء وغيرها. (انظر في ذلك: الكشاف للزمخشري ج٢/٦٦٩). ومثله قاله أبو السعود. (انظر: تفسيره ج٣/٤٥٢).

وهذا خروج بالكلام عن ظاهره وتعسُّف يأباه قوله تعالى: «وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» (الإسراء: ٤٤).

والواجب أن نسلم لله تبارك وتعالى وأن تحمل كلامه على حقيقته، كما فعل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان.

تنبيه مهم:

أشرت فيما مضى إلى تسبيح جميع المخلوقات لربها الخلاق، وهذا بخلاف مَنْ مَنَّ الله عليهم بالعقل والكلام والاختيار، وفضلهم على كثير من المخلوقات، فهل ترضى يا عبد الله أن تكون هذه المخلوقات-وأنت المفضل عليها- أعلم بربها وما يجب له منك؟ والله إن هذا لهو الخسران المبين.

قال ابن القيم بعد أن ساق قوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا» (طه: ١٠٥). فهذا حال الجبال وهي الحجارة الصلبة وهذه رقتها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمته.... فيا عجبًا من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال تسمع آيات الله تتلى عليها ويذكر الرب تبارك وتعالى فلا تلين ولا تخشع. (مفتاح دار السعادة ج١/٢٥٧).

فيا أهل الإيمان: الزموا طاعة الرحمن، وكونوا من المسبّحين لله آناء الليل وأطراف النهار، تعظيمًا وعبادة لله.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذاكرين الخاشعين المسبّحين، وأن يهدينا سواء السبيل.

والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

الحلقة التاسعة

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

قال الله تعالى:

« وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ
وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (٤٦) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ
ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ
بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ (٤٨) بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ »

(العنكبوت: ٤٦- ٤٩)

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإذا كانت هذه آداب الجدال مَعَ أَهْلِ الكتاب، فالمُسْلِمُونَ بها أَوْلى، فَلا يَليقُ بالمُسلم وَهُوَ يُجَادِلُ أَخاهُ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْه، فَضْلاً عَنْ أنْ يَسُبَّهُ وَيَشْتُمَهُ وَيَتَّهِمَهُ، بَلْ يَلْتَزِمُ الهُدُوءَ وَالرِّفْقَ وَاللِّينَ وَعُمُومَ الأَدَب.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» فَأَفْحَشُوا القَوْلَ، أَوْ سَبُّوكُمْ وَاعْتَدَوْا عَلَيْكُمْ، فَلَكُمْ أَنْ تَنْتَصِرُوا مِنْهُمْ، وَتَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَوْا عَلَيْكُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا » (النساء: ١٤٨)، وَقَالَ تَعالَى: «ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ » (البقرة: ١٩٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ٤٦ »:

هَذَا أَيْضًا مِنْ أَدَبِ الجِدَالِ وَالمُنَاظَرَةِ، أَنْ يَعْتَرِفَ المُجَادِلُ لِنَظِيرِه بِالحَقِّ الَّذِي مَعَهُ، وَأَنْ لا يَرُدَّ مَا مَعَهُ مِنَ الحَقِّ مِنْ أَجْلِ مَا مَعَهُ مِنَ البَاطِلِ، فَلَيْسَ هَذَا مِنَ العَدْلِ وَالإِنْصَافِ، بَلْ تَقْبَلُ الحَقَّ وَتَرُدُّ البَاطِلَ.

فَإِذَا جَادَلَ المُسْلِمُونَ أَهْلَ الكِتَابِ قَالُوا لَهُمْ مَا ذَكَرَ الله: آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَآمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، فَكُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «الٓمٓ (١) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ » (آل عمران: ٢-٣)، فَإِذَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، فَلِمَاذَا لا تُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا؟! وَإِذَا آمَنَّا بِمُوسَى وَعِيسَى فَلِمَاذَا لا تُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّد؟! وَكُلُّ دَاعٍ لَكُمْ إِلَى الإِيمَانِ بِمُوسَى وَعِيسَى مُتَوَفِّرٌ وَأَكْثَرُ مِنْهُ فِي حَقِّ مُحَمَّد، وَكُلُّ دَاعٍ لَكُمْ إِلَى الإِيمَانِ بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ

مُتوفرٌ وأكثر منه في حق القرآن.

وقوله تعالى: «ونحن له مسلمون» فيه تعريض بالفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وهذا أيضا أدبٌ من أدب الحوار والمناظرة، أن لا يواجه المجادل الطرف الآخر بما عليه من الباطل، ولا بما يستحقه من العذاب، ففي التعريض مندوحة عن التصريح، وهذا كما قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام وقد أرسلهما إلى فرعون: « فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ » (طه: ٤٧ - ٤٨).

القرآن كلام الله:

ثم صرح ربنا سبحانه بتنزيل القرآن من عنده، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: «وكذلك أنزلنا إليك الكتاب» يعني القرآن، كما أنزلنا على من قبلك من الرسل المشار إليهم في الآية السابقة، وهي قوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ». وهذا التشبيه كقوله تعالى: « إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا » (النساء: ١٦٣).

«فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به» هذا الخبر من الدلائل الدالة على أن القرآن كلام الله، لأن السورة مكية، وأهل الكتاب لم يكونوا في مكة، وإنما كانوا في المدينة، وأسلم من أسلم منهم بعد الهجرة، فكان الإعلام بإيمانهم قبل إيمانهم دليلاً على أن القرآن من عند الله العليم الخبير، الذي يعلم ما كان وما يكون، وما سيكون. وقد أسلم بعد الهجرة نفر من اليهود والنصارى، وكان الذين أسلموا من النصارى أكثر. وقوله تعالى: «ومن هؤلاء من يؤمن به» (العنكبوت: ٤٧) أي ومن مشركي أهل مكة من يؤمن بالقرآن. «وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون» (العنكبوت: ٤٧): الجحود هو إنكار الشيء بعد معرفته، كما قال تعالى عن فرعون وقومه: « فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ » (النمل: ١٣، ١٤).

والمراد أن كون القرآن منزلا من عند الله من الوضوح بمكان، بحيث لا ينكره إلا الكافرون الموغلون في الكفر والضلال والعناد، ولذلك قال: «إنما الآيات عند الله». فعبر عن الكتاب بالآيات، لأنه آيات دالة على أنه من عند الله بسبب إعجازه وتحديه وعجز المعاندين عن الإتيان بسورة مثله. (التحرير والتنوير: ٢١/ ٩).

ومن دلائل كون القرآن من عند الله أنه جاء على لسان رسول أمي، لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك عجز الفصحاء والبلغاء عن الإتيان بسورة من مثله، فكان عجزهم دليلا على عجزه هو، وثبوت أنه كلام الله رب العالمين، وقال تعالى: «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك» أي ما كنت تقرأ ولا تكتب. وقيد الكتابة باليمين للتأكيد، كما قال تعالى: « وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ » (الأنعام٣٨).

«إذا لارتاب المبطلون» أي لكان سبيلاً إلى ارتياب المبطلين وشكهم فيما جئت به. ووجه التلازم بين التلاوة والكتابة المتقدمين على نزول القرآن، وبين حصول الشك في نفوس المشركين أنه لو كان ذلك واقعا لاحتمل عندهم أن يكون القرآن من جنس ما كان يتلوه من قبل من كتب سالفة، وأن يكون مما خطه من قبل من كلام تلقاه فقام اليوم بنشره ويدعو به.

وإنما جعل ذلك موجب ريب دون أن يكون موجب

جَزْم بالتَّكْذِيب لأَنَّ نَظْمَ القُرْآنِ وَبلاغَتَهُ وَمَا احْتَوَى عَلَيْه مِنَ المعَاني يُبْطِل أَنْ يَكُونَ مِنْ نَوْعِ مَا سَبَقَ مِنَ الكُتُبِ وَالقَصَص وَالخُطَب وَالشِّعْر، وَلَكِنَّ ذَلكَ لَمَّا كَانَ مُسْتَدْعِيًا تَأَمُّلاً لَمْ يَمْنَعْ مِنْ خُطُورِ خَاطِرِ الارْتِيَابِ عَلَى الإجْمَال قَبْلَ إتمَامِ النَّظَرِ وَالتَّأَمُّل بحَيْثُ يَكُونُ دَوَامُ الارْتِيَابِ بُهْتَانًا وَمُكَابَرَةً.

وَوَصْفُ المكَذِّبِينَ بالمُبْطلين مَنْظُورٌ فيه لِحَالِهِمْ فِي الوَاقِع، لأَنَّهُمْ كَذَّبُوا مَعَ انْتِفَاءِ شُبْهَةِ الكَذِب، فَكَانَ تَكْذِيبُهُمُ الآنَ بَاطِلاً، فَهُمْ مُبْطلُونَ مُتَوَغِّلُونَ فِي البَاطِل، فالقَوْلُ فِي وَصْفِهِمْ بالمُبْطلين كالقَوْل فِي وَصْفِهِمْ بالكافرين. (التحرير والتنوير ٢١/ ١١).

«بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بآيَاتِنَا إلاَّ الظَّالمُونَ» (العنكبوت: ٤٩).

(بَلْ) إبْطَالٌ لِمَا اقْتَضَاهُ الفَرْضُ مِنْ قَوْلِه: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ»، أَيْ بَل القُرْآنُ لا رَيْبَ يَتَطَرَّقُهُ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَهُوَ كُلُّهُ آيَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم.

وَالآيَاتُ جَمْعُ آيَة، وَالآيَةُ هِيَ الأَمْرُ الخَارِقُ لِلْعَادَة، يُظْهِرُهُ اللهُ عَلَى يَدِ مُدَّعِي النُّبُوَّة، تَصْدِيقًا لَهُ فِي دَعْوَاهُ. وَلِذَلكَ لَمَّا طَلَبَ الكُفَّارُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَأْتِيَهُمْ بآيَة، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «بَلْ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ» (الأنبياء: ٥)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ»، فَالقُرْآنُ ٦٢٣٦ آيَةً، كُلُّ آيَةٍ مِنْهَا تُعْتَبَرُ مُعْجِزَةً بِنَفْسِهَا، لأَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بمِثْلِهَا. وَهُوَ «فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ» مَحْفُوظٌ بفَضْلِ اللهِ، وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الأُمَّة، أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَسَّرَ لَهَا حِفْظَ القُرْآنِ وَفَهْمَهُ وَجَرَيَانَهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ» (القمر: ١٧)، وَلَوْلا أَنَّ اللهَ يَسَّرَهُ مَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بكَلامِ اللهِ عز وجل، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه. (تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٢٧٢).

فضل أهل القرآن:

وَفِي هَذِهِ الجُمْلَةِ مِنَ الآيَةِ تَزْكِيَةٌ لأَهْلِ القُرْآن، حَيْثُ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى صُدُورَهُمْ أَوْعِيَةً لِكَلامِه، وَهُوَ مِن اصْطِفَاءِ اللهِ لَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» (فاطر: ٣٢)، وَالآيَةُ وَإنْ كَانَتْ فِي تَوْرِيثِ الأُمَّةِ كُلِّهَا الكِتَابَ وَالنُّبُوَّةَ وَقَدْ كَانَا فِي بَنِي إسْرَائيل، إلاَّ أَنَّهَا كَمَا تَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الأُمَّةِ عَامَّةً، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى فَضْل أَهْلِ القُرْآن خَاصَّةً، فَهُمْ صَفْوَةُ الصَّفْوَة، فَلْيَحْمَدْ أَهْلُ القُرْآنِ رَبَّهُمْ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، وَلْيَجْتَهِدُوا فِي العَمَلِ بِه، حَتَّى يَكُونَ حُجَّةً لَهُمْ.

وَمَرَّةً ثَانِيَةً يُؤَكِّدُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ عَلَى أَنَّهُ لا يُنْكِرُ هَذِه الآيَاتِ البَيِّنَاتِ إلاَّ ظَالِمٌ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: «وَمَا يَجْحَدُ بآيَاتِنَا إلاَّ الظَّالمُونَ»: قَالَ هَاهُنَا: الظَّالمُونَ، وَمِنْ قَبْلُ قَالَ: الكَافِرُونَ، مَعَ أَنَّ الكَافِرَ ظَالمٌ، وَلا تَنَافِيَ بَيْنَ الكَلامَيْن، وَفِيهِ فَائِدَةٌ، وَهِيَ أَنَّهُمْ قَبْلَ بَيَانِ المُعْجِزَةِ قِيلَ لَهُمْ إنَّ لَكُمُ المزَايَا، فَلا تُبْطلُوهَا بإنْكَارِ مُحَمَّدٍ فَتَكُونُوا كَافِرِينَ، فَلَفْظُ الكَافِرِ هُنَاكَ كَانَ بَلِيغًا، يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلكَ لاسْتِنْكَافِهِمْ عَنِ الكُفْر، ثُمَّ بَعْدَ بَيَانِ المُعْجِزَةِ قَالَ لَهُمْ إنْ جَحَدْتُمْ هَذِه الآيَةَ لَزِمَكُمْ إنْكَارُ إرْسَالِ الرُّسُل، فَتَلْتَحِقُونَ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ بالمُشْرِكِينَ حُكْمًا، وَتَلْتَحِقُونَ عِنْدَ هَذِه الآيَةِ بالمُشْرِكِينَ حَقِيقَةً، فَتَكُونُوا ظَالمِينَ، أَيْ مُشْرِكِينَ، كَمَا بَيَّنَّا أَنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، فَهَذَا اللَّفْظُ هَاهُنَا أَبْلَغُ، وَذَلكَ اللَّفْظُ هُنَاكَ أَبْلَغ. (التفسير الكبير ٢٥/ ٦٤).

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

تذكير النُبلاء ببيان فضل الغربة وقوة الغُرَباء

إعداد / أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحمد لله كما أمر، والصلاة والسلام على خير البشر؛ محمد وآله ومن صحبه وتبعه ومن حضر، وبعد:

فحديثنا هذه المرة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» رواه مسلم.

تخريج الحديث:

رواه مسلم في: ١- كتاب الايمان، ٦- باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين، رقم (١٤٥)، (١/ ١٣٠). وانفرد به عن البخاري رحمهما الله.

ورواه ابن ماجه في سننه: ٣٦- كتاب الفتن، ١٥- باب بدأ الإسلام غريبًا، رقم الحديث (٣٩٨٦)، (٢/ ١٣١٩-١٣٢٠).

فوائد على التخريج:

١- هذا الحديث وبحسب أقوال أهل العلم من متواتر المعنى على الأقل إن لم يكن من متواتر اللفظ في بعض عباراته؛ إذ قد وردت رواياته حول قضيته ومعناه- باختلاف سياقاته وعباراته- من طرق كثيرة جدًا، موصولاً ومرسلاً، ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم عدد كبير من الصحابة يربو على العشرين، وأشير إلى بعضها مما في ألفاظه زيادة تفيد في معناها.

٢- وأشهر روايات الحديث مما تفضل الله عليّ بالوقوف عليه من الصحيح منه هي:

- رواية عبدالله بن عمر رضى الله عنهما؛ وخرج له مسلم «إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين» (رواه مسلم في: ١- كتاب الايمان، ٦٥- باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين، حديث رقم (١٤٦)، (١/ ١٣١).

- ورواية عبدالله بن مسعود، وخرج له الترمذي وابن ماجه.

- رواه الترمذي في سننه: ٤١- كتاب الإيمان، ١٣- باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، رقم الحديث (٢٦٢٩)، (٥/ ١٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن مسعود، وإنما نعرفه من حديث حفص بن غياث عن الأعمش.

- ورواه ابن ماجه في: ٣٦- كتاب الفتن، ١٥- باب بدأ الإسلام غريبًا، حديث (٣٩٨٨) بنحوه، وزاد: قال: قيل: ومن الغرباء؟ قال: النُزَّاع من القبائل: (٢/ ١٣٢٠).

- ورواه أنس بن مالك وأخرجه له ابن ماجه. بلفظ حديث

أبي هريرة رواه ابن ماجه في: ٣٦- كتاب الفتن، ١٥- باب بدأ الإسلام غريبًا حديث رقم (٣٩٨٧)، (٢/ ١٣٢٠).

- ورواه عمرو بن عوف المزني رضى الله عنه (وكان أحد البكاءين الذين قال الله تعالى فيهم: «تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ» (التوبة: ٩٢). وخرج له الترمذي ولفظه: «إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدّين من الحجاز معقل الأرْويّة من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريبًا، ويرجع غريبًا، فطوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي». رواه الترمذي في: كتاب الإيمان،- باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا... برقم (٢٦٣٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي بعض النسخ: حسن، كما في المطبوع مع تحفة الأحوذي (٧/ ٣٨٣).

- ورواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده: «طوبى للغرباء، فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: أناس صالحون، في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» (١٤). رواه الإمام أحمد في مسنده في موضعين: (٢/ ١٧٧)، (٢/ ٢٢٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١٥٣).

- ورواه عبد الرحمن بن سَنّة رضى الله عنه: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «بدأ الإسلام غريبًا، ثم يعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس. والذي نفسي بيده لَيَنحازَنَّ الإيمان إلى المدينة كما يحوز السيل والذي نفسي بيده ليأرزن الإسلام إلى ما بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها». (رقم ١٦٣٤٤ من مسند أحمد).

- ورواه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء، فقالوا: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس» (مجمع الزوائد على الكتب الستة ج٧ ص ٢٧٨).

٣- وبعد فقد ورد غير ذلك مما لا يخلو سنده من مقال في غير الكتب الستة عن ابن عباس. وبلال وجابر بن عبد الله وسلمان وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

المعنى العام للحديث:

إن الله سبحانه بعث رسوله بنور التوحيد والإيمان، وأهل الأرض على اختلاف من الأديان، فهم بين عُبّاد أوثان ونيران، وصابئة وكهنة وصور وصلبان، فكان الإسلام والذي يسلم حينئذ يصير غريبًا في حيّه وقبيلته، وبين أهله وعشيرته.

بدأ الاسلام غريبًا حينما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إليه: فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد. فكان حينذاك غريبًا بغربة أهله، لقلتهم وضعفهم مع كثرة خصومهم وقوتهم وتسلطهم وطغيانهم، ثم صدق الله وعده فأعز جنده ونصر عبده وهزم الأعداء وحده فقامت دولة الإسلام وانتشر التوحيد والأمن والإيمان وجعل سبحانه كلمة الكفر هي السفلى، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم، واستمر الأمر على ذلك زمنًا، ثم بدأ التفرق والوهن ودبَّ الضعف دبًا وفشا الفشل شيئًا فشيئًا حتى عاد الإسلام غريبًا كما بدأ، لكن ليس ذلك لقلتهم فإنهم يومئذ كثير، لكنهم كغثاء السيل، وإنما ذلك لعدم تمسكهم بدينهم واعتصامهم بكتاب ربهم وتنكُّبهم هدي رسولهم الله صلى الله عليه وسلم إلا من شاء الله فشغلهم بأنفسهم، وبالاقبال على دنياهم فتنافسوا فيها كما تنافس من كان قبلهم وتناحروا فيما بينهم على إمارتها وثرواتها، فتمكن أعداء الإسلام من ديارهم ورقابهم فاستعمروها وأذلوا أمة الاسلام وفتنوها، ولعل هذه هي غربة الإسلام التي عاد إليها كما بدأ بها.

البشارة:

لكنها البشارة وليست الخسارة، البشارة بنصرة الإسلام بعد غربته، واستعادته لقوته بعد غربته في قوله صلى الله عليه وسلم

«وسيعود غريبًا كما بدأ»؛ فكما كان له بعد الغربة الأولى عز للمسلمين وانتشار للإسلام، فكذا سيكون له بعد الغربة الثانية نصرٌ وانتشارٌ.

قال أهل العلم: وهذا الرأي أظهر، ويؤيده ما ثبت في أحاديث المهدي ونزول عيسى عليه السلام آخر الزمان من انتشار الإسلام وعزة المسلمين ودحض الكفر والكافرين» (ينظر: «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/١٧٠)، ونقل النووي في شرح صحيح مسلم عن القاضي عياض أنه قال في معنى الحديث نحوًا مما سبق ذكره. انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ٣٥٢).

وعمومًا فإن من المتفق عليه لدى الفاهمين من العيان أن الاغتراب عن الأوطان من أشد ما يعانيه الإنسان، ونقول فغربة الدين أشد إذ من المؤلم أن يجد الإنسان نفسه بين أهله غريبًا فلا يجد منهم على الحق موافقًا ولا على الدرب مرافقًا، فليت شعري أيّ غربة بعد هذه الغربة؟ لذا كان حديثنا من المبشرات المنجيات؛ ليتخذ من سبيل الصالحين الأولين طريقًا ومنهجًا، ويجعل من سيرتهم معينًا ومنهلاً.

ومن الغربة الآنية على سبيل الإجمال:

وليس عجبًا عندما نسمع عن أشكال جديدة لمقدسات مختلفة المنابع والموارد كالاشتراكية والعلمانية والحداثوية والمثلية والحرية العبادية، ونحوها من العناوين الظلامية من المشتركات اللفظية في مآربها وإن تعددت مصادرها ومواردها فهي غربة جديدة سبقتها غربة أولى، قال أهلها عندما جاءهم البشير يدعوهم إلى الحرية الحقيقية، فيخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة قالوا: « أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ » (ص:٥)، وقالوا: « مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ » (ص:٧).

طوبى للغرباء

طوبى للغرباء الأولين من السلف وأتباعهم الطيبين من الخلف أهل الاستقامة والديانة وصفهم عليه الصلاة والسلام: (الذين يَصْلُحون إذا فسد الناس)، وفي لفظ آخر: (يُصْلِحون ما أفسد الناس من سُنّتي)، وفي لفظ آخر: (هم النُّزَّاع من القبائل)، وفي لفظ آخر: (هم أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير)، (الذين يصلحون عند فساد الناس) لهم الجنة والسعادة؛ إذ قد ثبتوا على الحق، واستقاموا على الدين.

وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي». وفي بعض الروايات: هي الجماعة. (رواه الترمذي وغيره والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم والألباني في صحيح سنن الترمذي).

فهنيئًا لفرقة غريبة في الجنة ناجية تواجه اثنتين وسبعين فرقة في النار هالكة، ذات أتباع ورئاسات وولايات، وغايات أهوائهم ولذاتهم، وبدعهم وشبهاتهم هي منتهى فضيلتهم وعلمهم، مقاصدهم وإراداتهم.. فلا يقوم لهم سوق ولا يُباع لهم نوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ولا يخفى على أحد ما كان منه الآن من قنوات ومنابر ومنائر، والله المستعان على ما يصفون.

خاتمة خير:

فإن غربة الموحد قوة وبشارة وغربته في أمور دنياه وأخراه، فهو عامل بين بطالين، طالب علم بين قاعدين، صاحب سُنَّة بين مبتدعين، داعٍ إلى جنان بين دعاة إلى نيران، آمر بالمعروف، ناهٍ عن المنكر، بين قوم المعروف لديهم منكر، والمنكر عندهم معروف. (وينظر ويستفاد من: مدارج السالكين شرح منازل السائرين لابن القيم ١/ ١٩٤-٢٠٠، ط. السنة المحمدية).

وللبحث صلة إن شاء الله، وأستغفر الله لي ولكم.

خُطورة الغِياب عن إصْلاح الشَّباب (٥)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

تمْييز وتمايز، لا عقد مقارنة، ولا سباق ومغامرة؛ هذا مقال أردت به أن أفصح عن حالين، وأصف فيه قومين، وأشير إلى حال طائفتين؛

إعداد د. عماد عيسى

المسلمون بين جيل بلغ المنزل وجيل انزوى في معزل

الأول: حال الأسلاف الصالحين وأهل الهداية من السابقين، والثاني: حال الخلف اللاحقين، والخلف المتأخرين، ليس لعقد مقارنة، ولا لإنشاء سباق ومغامرة، فإن بيننا وبين القوم مسافات بعيدة ومفاوز، أدتْ إلى تمْييز بيننا وبينهم وتمايز، بسبب حرصهم على أمر الدين بينما نحن في تفريط وتجاوز، بل أردت نقْل مَحاسنهم، ونشر عبير فضائلهم، دلالة على حالهم لمن يرغب في صنيعهم، ومن يحب أن يعمل بعملهم ويقتدي بهم، وتحفيزا لما ضعف من الهمم، وإعلامًا بشأن تلك القمم، والمحاسن تُروى وتُنقل، والفضائل تجلى وتُصقل، لإحياء الأسوة فينا والقدوة بهم، جعلنا الله ممن أسبل عليه جلابيب الستر في الدنيا، والعفو والتجاوز في الآخرة.

بلوغ السلف المنزل وتحقيق الموئل:

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد علمه الله ما لم يكن يعلم، وفضله على العالمين، فحَفَّ شخصه بالعصمة، وشدَّ أمرَهُ بالتَّأييد، ويسَّر له التوفيق، وألقى على كلامه مهابة وغشاه بقبُول عظيم، وكساهُ حلاوةً وطلاوة، فقلَّ منه عددُ الكلام، مع تيسير الفهْم وسُهولة الإفهام، فلما شعرَ الصحابةُ بهذه النعمة عظموا هذه الميزة، أنْ كان فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يفوتوا من أمره شيئًا إلا عملوه، ولا من نهيه نهيًا إلا اجتنبوه، ولا من سننه سنة إلا وفَّوها حقَّها، ولا من أدبه آدابًا إلا رعوْها حقَّ رعايتها وأتموا نقصها، ولا من خلق من أخلاقه إلا تأسوا به وكملوا في أنفسهم وقصها، فلمَا حافظ القوم على آداب النبوة وأخلاق الإسلام في ذلك العهد الأول-عهد التشريع ونزول الوحي- وتمسَّكوا بالاقتداء بنبيِّنا صلى الله عليه وسلم تسبب ذلك في رفعة همتهم، وعلو عزيمتهم، وتأديبهم أنفسهم وزمِّها بالنصوص الشرعية، والتزامهم بالسنن النبوية، ورعايتهم ولها

وتمسكهم بالأحوال المرعية، حتى بلغوا الذروة من المجد، ووفوا بما تركهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد.

لقد ربى فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ملكة العلم، وصقل الذائقة والفهم، حتى حققوا البدائع والروائع، بعزم أكيد، وإخلاص شديد، وهمَّة طمَّاحة بلغت العلياء، وناطحت السماء.

وقد أثنى الله عليهم الثناء العالي، وزكاهم بالكلام النفيس الغالي، وعدّد أوصافًا لا يحققها إلا المُخلصون ولا يبلغ منتهاها من عباد الله إلا المُخلَصون، منها: قوتهم في دين الله وشدّتهم على أعداء الله عند الجهاد والدفاع عن دعوة الإسلام، ومنها: الرحمة التي سرت بينهم، وحملوها تجاه إخوانهم حتى صاروا كأنهم جسد واحد، ومنها: إخلاصهم وحسبتهم، وتفانيهم في حسن القصد، وتجويد العمل، وتخليص النوايا، حتى زكتْ نفوسُهم وطهرتْ قلوبهم، ومنها: اجتهادُهم في العبادة، وتحقيق الذروة منها، وبلوغ الدرجة القصوى في عمارة الأوقات بالطاعة، والاشتغال بالصلاة وتلاوة القرآن والذكر وقيام الليل وقضائه في الركوع والسجود، وقد جُمعتْ هذه الأوصاف في آية واحدة فقال تعالى: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا» (الفتح: ٢٩).

ولا يكاد يحقق هذه المنزلة إلا من أوتي حظًا وافرًا من الإخلاص المتجرِّد، والبصر النافذ، والصبر الجميل، والاحتساب المتواصل، والهمة العالية، والولاء المكين والحرص المَتين على الإسلام والمسلمين، وتحقق بهم قوله تعالى: «هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ» (التوبة: ٣٣).

رجوع الأخلاف القهقرى
ونزولهم من القمة إلى السفح:

بعد ما ظهرت أنوار الإسلام الماحية لظلمة الضلال، وكشفت عن الدنيا الإفك والشرك والزور والمحال، مضت هذه الحقبة المباركة وكأنها ومضة برق في ليل بهيم ما لبثت أن انطفأت وتلاشت، ولم يبق منها إلا أقل القليل.

نعم، كان شيئًا كان ثم انقضى، فتناسخت القرون، وتعاقبت الأزمنة والسُّنون، وأهمل المسلمون تربية الشباب والأشبال، وأضاعوا الأجيال بهذا الإهمال، فوقعوا من القمة إلى القاع، وهبطوا من العُلوَ إلى السِّفال، فردُّوا الحَقَ وقبلوا التَضليل، وصدَقوا الأكاذيب والأباطيل، وعوَّل المُسلمون على النزاع، واشتغلوا بالخلاف وتشاغلوا بالوقيعة والوقاع، حتى دبَّ إليهم الشقاق، وبدا في أخلاقهم النفاق، من أجل مُلك ورياسة، ومناصب لا يسعى إليها صاحبُ فطْنة وكَياسة، فذهب الخيرُ وولى مدبرًا، وحل الضير وأصبح الأمرُ مُعسرًا، والحال غير مبشر بل مُنفرًا، يعدُ بالشرِّ وبحُلول السُّوء مُنذرًا، ومن سُوءِ العاقبَة مُحذَرًا، لأنهم فقدُوا النَّظر الصَحيح، وعُدموا البَصر الرَّجيح.

أساس الرجوع وسبب التخلف والخنوع:

كان أُسَ ذلك وأساسه أنهم تركوا الإرث الضخم، وتجاهلوا الكنز الخبيء الدفين الفخم، وتقاعسوا عن الجِد، وركنوا إلى الإيهام والوهم، وعوَّلوا على أناس ليس لهم نهج مستقيم ولا عدالة مستفيضة، قد انكسرت فيهم أجنحة الخير فصارت مهيضة، وجعلوا أمر هؤلاء الأقوام سنَةً متَبعة، ودَرْبًا مطروقًا مع أنها كانت مبتدعة، فأضرُّوا بأنفسهم إضرارًا بينًا، وركبوا من عظائم الأمور شيئًا ليس هينًا، ومن نظر إلى الخلافة العباسية وقرأ تاريخها وكيف استحوذ الترك والبرامكة وغيرهم على الملك، واستولوا على شأن الخلافة حتى أوقعوا بالأمة الهُلك، فأصبحوا يسوسون الأمة العظيمة، ويقودون زمام أمة مجيدة ذات الآثار القديمة، وكان ذلك بعدما سلم الخلفاء لهم الحبل والخطام، وفوضوا إليهم القيادة والزمام، وذهبت الأمة إلى حتفها، بعدما حققت الأمجاد بغزوها وفتحها، وصاروا كمن

يحفر قبره بيده، أو ذهب إلى حتفه بظلفه، لأنه والى خلفه وتبرأ من سلفه، وصدق فينا قول الشاعر:

لَمَّا اعتقدتم أُناسًا لا حُلُومَ لَهُم
ضَعُفتُم وضَيعتُم من كان يعتقِدْ
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم
حمتكمُ السادةُ المذكورةُ الحُشُدْ
قومٌ هم الجُذمُ والأنسابُ تجمعُهم
والمَجدُ والدِّينُ والأرحامُ والبلدْ
إذا قريشٌ أرادوا شدَّ مُلكِهمُ
بغير قحطان لم يبرحْ به أَوَدْ
بُعْدَ الدِّيار من الدِّيار:

ومقتضى هذا البعد ابتعاد حال الشباب عن تحقيق الحضور وترك الانقطاع عن النظر إلى أحوال السابقين والغياب، وعدم أخذ هؤلاء الشبيبة من الأخلاف بحال أولئك الأسلاف حتى شطَّ بشبابنا المزار، واختلطتْ عليهم الأوزانُ والأعْيار، واضطربتْ الأفكارُ وحارتْ الأبْصار، وتبدَّلتْ القيم واتَّضعتْ الأقْدار، وبعُدتْ بهم الأماني عن إصلاح الدِّيار، وبدلا من أن يكونوا مقتدين بالنبي وآله، ومُحبِّين أصحابه حملة أحواله، ومُنْتهجينَ نهجَ حفظة أحاديثه وأقواله، ومُتَّبعين نقلة سُننه وأفعاله، تركوا هذه المَحجَّة البيْضاء التي ليلها كنهارها، واقتدَوْا بشرقيٍّ وغربيٍّ، وفارسيٍّ وأوربيٍّ، وكل ما هو غير إسلاميٍّ وعربيٍّ.

لقد أقام أسلافنا أود الأدب بحيث لم يبتلوا بالأهواء المنكوسة، والآراء المنحوسة، لأنهم كانوا يتبعون السنن حيث دارتْ، ويتباعدون عن مظانِّ الأهواء مهْما مالتْ إليهم ودالتْ.

ولأجل هذا كتب الله في قلوبهم الإيمان، ونجاهم من وساوس وخطوات الشيطان، وجعل لهم في كل غاشية من الفتنة درعًا من الصبر، وفي كل نازلة من النوازل واقيًا من الثبات، وفي كل مظلمة نورًا من الهداية، وفي كل مجهلة معلما من اليقين والعلم.

فقدان القدوة أحدث امتزاج الخير بالشر:

هذا لون عجيب، وأمر غريب، من فتن آخر الزمان، سببه ترك القدوة وعدم تحقيق الأسوة، هو أنه قد امتزج العقوق بالبر، واختلط الخير بالشر، والتبس الحق بالباطل، وأصبح كثير من الناس لا يكاد يميز، ولا يجرأ على أن يميل إلى الحق ويتحيز، ولا يستطيع أن يفرق في بعض الأحيان بين ما ينفع وما يضرّ، وما يسُرّ وما يغُرّ، حتى عجزت أهل الأذهان الذكية، وتاه بعض أصحاب الأفكار السوية والعقول القوية والأخلاق الأبية، فما بالك بمن دونهم.

وآفة زماننا أن هذا الاختلاط يبعث في الناس الحيرة، ويرسل عليهم الاضطراب وترك الخيرة.

وأحيانًا يعذر المُرء من حوله لشدَّة التباس الأمُور وصعوبة اقتباس الحَل ووقوعهم في الغُرُور، وحينها يعز المهرب، وتصعب النجاة، ويضيق المخرج، ولا ينفع إلا التعلق بالله والعوذ بالجناب ولزوم الأعتاب، وانتظار الفرج بعد ذلك من رب الأرباب.

إذا مزجْتَ الْحقَّ بالباطلِ
جوَّزْتَ ما شئتَ على الغافلِ
وفيهما فرقٌ صحيحٌ لهُ
علامةٌ تبدُو إلى العاقلِ
كالتِّبْرِ إنْ تمْزجْ به فضَّةً
جازتْ على كلِّ فتًى جاهلِ
وإن تصادفْ صائغًا ماهرًا
ميَّزَ بينَ المَحْضِ والْحائلِ

فإذا ما حضرتْ القدوةُ يسرَتْ وسهَلت، ووضَحت وبيَنتْ، وجلَت البصائر، وأنارت القُلوب والضَمائر، وسهُل أمرُ الله وتيسَّر لهم معرفة الحَق من الباطل، لأنه كما تقول العرب: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وحينئذ لا يكاد يخفى الحَال إلا على الذين لا خير فيهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنفال: ٢٢-٢٣).

ولله در الشاعر حين قال:

وماذا على الشمس المُنيرة بالضُحى
إذا قصُرتْ عنها ضعاف البصائر

والحمد لله رب العالمين.

رفع أجهزة الإنعاش عن المريض

إعداد الشيخ/صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ولـه الحمدُ في الآخـرة وهـو الحكيمُ الخبيرُ. والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمَّد، الذي أرسله ربُّه شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

أمَّا بعدُ: فإنَّ الكثير من الناس، وخاصة الأطباء الكرام، يريدون معرفة حُكم رفع أجهزة الإنعاش عن المريض، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

تعريف الإنعاش

الإنعَاشُ: هُوَ المعالجِة المكثفة التي يقومُ بها طبيبٌ، أو مجموعة من الأطبـاء لمساعدة الأجهزة الحياتية عند الإنسان وهـي: (المخ- القلب- التنفس- الكلى- الـدم) حتى تقوم بوظائفها، أو لتعويض بعض الأجهزة المعطلة بقصد الوصول إلـى تفاعل منسجم بينها. (مجلة مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة- جـ٢- ص٣٣٢)

حكم الإنعاش:

استخدام أجهزة الإنعاش واجبٌ؛ وذلك لخطورة حالة المريض، ولأن حاجته لأجهزة الإنعاش أصبحت أمرًا ضروريًا كحاجته للطعام والشراب بحيث لو تركه فقد عَرَّضَ نَفْسَه للهَلاك.

(مجلة مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة- جـ٢- ص٣٣٢).

وسائل الإنعاش الطبية:

وسائل الإنعاش عند الأطباء هي:

(١) المنفسة (التنفس الصناعي):

المنْفَسَةُ: هي جهازٌ يقوم بعمل الجهاز التنفسي بتحريك القفص الصدري فيحدث للمريض ما يُسَمَّى بالشهيق والزفير.

(٢) جهاز مانع الذبذبات:

هـذا الجهاز يُعطي صدمات كهربائية لقلب اضطرب نبضه اضطراباً شديداً وتحـول إلى ذبذبات بطينية، لا تدفع الدم من البطين إلى الأورطي.

(٣) جهاز منظم ضربات القلب:

يُستخدمُ هذا الجهاز عندما تكون ضربات القلب بطيئة جداً بحيث إن الدم لا يصل إلى الدماغ بكمية كافية أو ينقطع لفترة ثوان أو لدقيقة ثم يعود.

(مجلة مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة- جـ٢- صـ٢٩٧:٢٩٩).

آثار بقاء أجهزة الإنعاش مدة طويلة بعد التأكد من موت الدماغ.

قامت وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية بتكليف لجنة من الأطباء بعمل دراسة حول: (تشخيص حدوث الوفاة بغرض تحديد متى ترفع أجهزة الإنعاش)، وكان أحَدُ عناصر الدراسة السؤال التالي:

مَا هيِ الأضرارُ الناجمةُ عن إبقاء المريض مُرتبطا بجهاز الإنعاش رغم ثبوت تلف دماغه النهائي؟

أولاً: لأن في ذلك بذل جهد كبير فيما لا طائل تحته، بل يقرب من كونه نوعًا من العبث، والدراسات العلمية أثبتت أن من توفرت فيه كل شروط تشخيص موت الدماغ قد وصل إلى نقطة اللاعودة، وأن توقف بقية الأعضاء عن العمل لا بد أن يحدث بعده مدة.

ثانيًا: غرف العناية المركزة في كل مستشفيات العالم محددة العدد ومخصصة لإعطاء عناية متواصلة في كل ثانية حتى تستقر حالة المريض الصحية، وهم بحاجة ماسة لمثل هذه المراقبة والعناية ووجود مريض تلف دماغه نهائيًا على هذه الأجهزة يحجز مكان مريض آخر يكون إنقاذ حياته ممكنًا بإذن الله.

ثالثًا: تكاليف العناية المركزة باهظة جدًا سواء تحملتها الدولة أو الفرد. فمن الأولى إنفاقها فيما يعود بالنفع على المريض أو أسرته بدلاً من إهدارها بما لا جدوى منه.

رابعًا: العاملون في وحدات العناية المركزة يصابون بالإحباط لمعرفته بأن مآل جهودهم إلى ضياع ويُؤثرُ ذلك على مستوى عنايتهم بالمرضى الآخرين.

خامسًا: تزداد آلام أقارب المريض وذويه ومعاناتهم بتكرار رؤيتهم له جثة هامدة. (مجلة مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة- جـ٣- ٢٨٥)

حُكْمُ رفع أجهزة الإنعاش عن المريض:

سوف نذكر بعض فتاوى العلماء في رفع أجهزة الإنعاش عن المريض:

(١) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية:

س: ما حُكْمُ رفع أجهزة الإنعاش عن المريض المصاب بعجز شديد ولا يُرجى شفاؤه؟

الجواب: جاء في قرار هيئة كبار العلماء رقم (١٩٠) وتاريخ ١٤١٩/٤/٦ هـ، في خصوص حكم رفع أجهزة الإنعاش عن المريض:

إذا قَرَّرَ ثلاثة من الأطباء فأكثر رفع أجهزة الإنعاش عَن مريض مُصاب بعجز شديد مثل الشلل الدماغي ولا يرجى شفاؤه جاز رفعها عنه، ولكن لا يجوز الحكم بموته حتى يُعْلَم ذلكَ بالعلامات الظاهرة الدالة على موته. (اللجنة الدائمة- فتوى رقم:٢٢٣٩٠ بتاريخ ١٩/ ٥/ ١٤٢٣ هجرية).

(٢) مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي:

إن مجلسَ مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث بعمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية من ٨ إلى ١٣ صفر ١٤٠٧ هـ/١١ إلى ١٦ أكتوبر ١٩٨٦م. (قرار (٥) د ٣/٠٧) بعد تداوله في سائر النواحي التي أثيرت حول موضوع (أجهزة الإنعاش)، واستماعه إلى شرح مستفيض من الأطباء المختصين. قرر ما يلي:

يعتبرُ شرعاً أن الشخص قد مات وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعاً للوفاة عند ذلك إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين:

(أ) إذا توقف قلبه وتنفسه توقفاً تاماً وحكم الأطباءُ بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

(ب) إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً، وحكَمَ الأطباءُ الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه في التحلل. وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لا يزال يعمل آليا بفعل الأجهزة المركبة. (موسوعة أخلاقيات مهنة الطب- الدكتور/ محمد علي البار وآخرون- جـ٣، ص٢٤١).

(٣) مجمع الفقه الإسلامي لرابطة العالم

الإسلامي:
(مجمع الفقه الإسلامي، برابطة العالم الإسلامي، في دورته العاشر المنعقدة في مكة المكرمة، في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧ إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧ م (قرار رقم: ٤٩ (٢/ ١٠) تقرير (حصول الوفاة، ورفع أجهزة الإنعاش من جسم الإنسان):

قرر مجمع الفقه الاسلامي ما يلي:

المريض الذي رُكبت على جسمه أجهزة الإنعاش، يجوز رفعها، إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً، وقررت لجنة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء، أن التعطل لا رجعة فيه، وإن كان القلب والتنفس لا يزالان يعملان آلياً، بفعل الأجهزة المركبة، لكن لا يُحكم بموته شرعاً، إلا إذا توقف التنفس والقلب، توقفاً تاماً بعد رفع هذه الأجهزة. (موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة- للدكتور/ علي السالوس- ص٦٩٧).

(٤)"البحوث" يوضح وقت رفع أجهزة الإنعاش عن المريض وإعلان وفاته

أكدت لجنة الفتوى بمجمع البحوث الإسلامية، أن الشخص يعتبر شرعًا قد مات إذا توقف قلبه وتنفسه توقفًا تامًا، وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه، وإذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلا نهائيًا، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه في التحلل، وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص، وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لا يزال يعمل آليًا بفعل الأجهزة المركبة؛ وذلك وفقًا لقرار مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث بعمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ١٩٨٦م.

وأضافت اللجنة في معرض ردها على سؤال: ما هي الحالات المرضية التي يجوز شرعًا فصل أجهزة التنفس الصناعي عنها، وما هي شروط وضوابط ذلك؟ وهل يلزم أخذ موافقة كتابية من أهل المريض من عدمه؟

أجابت: إن المعتبر في فصل الأجهزة هو حكم الأطباء الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وعليه فلا يلزم أخذ موافقة كتابية من أهل الميت على ذلك.

(٥)حكم رفع أجهزة الإنعاش عن المريض الذي لا يُرجى شفاؤه

هل يجوز للفريق الطبي المُعالج أن لا يضع مرضى السرطان على أجهزة الإنعاش والتنفس، أو إجراء مباشرة غسيل الكلى إذا تأكد وتيقن أنه لا يُرجى أي فائدة للمريض من ذلك؟

رأى المجلس أنه لا مانع شرعًا من عدم وضع مريض السرطان على أجهزة الإنعاش أو التنفس، أو مباشرة غسيل الكلى إذا تأكد وتيقن الفريق الطبي المعالج أنه لا يوجد أية فائدة ترجى للمريض من ذلك؛ شريطة أن يُؤيد ذلك تقرير من فريق طبي لا يقل عن ثلاثة أطباء مختصين عدول ثقات؛ وذلك لأن وضع المريض على هذه الأجهزة أو مباشرة غسيل الكلى ليس له أي فائدة في شفاء المريض، ولا يقدم ولا يُؤخر في أجل المَوت؛ لأن الأجل بيد الله عز وجل، قال الله تعالى: «وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»(المنافقون:١١).

ومما يدل على جواز التوقف عن استعمال العلاج للمريض في حال الدلالة على أنه لا فائدةَ منه: ما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طعن في المسجد، فأتي بنبيذ، فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن، فشربه، فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت، ولم يقوموا بعلاجه؛ لأنهم علموا أن لا فائدةَ من العلاج، فهو في حكم الميت، وذلك يدل على أن الحياة المستعارة في حكم العدم في مثل هذا الحال.

والله تعالى أعلم.

مجلس الإفتاء والبحوث والدراسات الإسلامية بالأردن.

خلاصة القول:

إذا توقف دماغُ الإنسان المريض عن العمل توقفاً تاماً، وتأكد ذلك بواسطة ثلاثة أو أكثر من الأطباء الثقات المتخصصين، من ذوي الخبرة، جازَ رَفع أجهزة الإنعاش منه، وإن كان القلبُ والتنفسُ يعملان بواسطة الأجهزة، وخاصة إذا كانت هذه الأجهزة تُكلف أهل المريض أموالاً كثيرةَ فوق طاقتهم، ولكن لا نستطيع أن نَحكم عليه بالموت في الشرع حتى نتأكد من توقف القلب والتنفس توقفاً تاماً عن العمل بعْد رفْع أجهزة الإنعاش من الجسم.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

الحقوق الزوجية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن نكاح الشغار، ونكاح المسلمين من أهل الشرك، وحكم نكاح أهل الكتاب، ونستكمل فقه النكاح سائلين الله-عز وجل- أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

الحقوق الزوجية:

أولاً: حق الزوجة على الزوج:

١- الصداق

لغة: الصداق بفتح الصاد المهملة وكسرها، مأخوذ من الصدق لإشعاره بصدق رغبة الزوج في الزوجة، وفيه سبع لغات وله ثمانية أسماء يجمعها قوله:

صداق ومهر نحلة وفريضة
حباء وأجر ثم عقر علائقه

والصداق: هو صداق المرأة، سمي بذلك لقوته وأنه حق يلزم- مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٩)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٣٣٥).

شرعًا: وهو ما يجعل للزوجة في نظير الاستمتاع بها- حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٢/ ٤٢٨)

مشروعيته:

الأصل في مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: فقوله تعالى: «وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ» (النساء: ٢٤)، وقال تعالى: «وَءَاتُوا النِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً» (النساء: ٤)، قال أبو عبيد: يعني عن طيب نفس بالفريضة التي فرض الله تعالى، وقيل النحلة: الهبة والصداق في معناها، لأن كل واحد من الزوجين يستمتع بصاحبه وجعل الصداق للمرأة فكأنه عطية بغير عوض، وقيل نحلة من الله تعالى للنساء، وقال تعالى: «فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً» (النساء: ٢٤).

أما السنة: فروى أنس: «أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم رَأى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْف، وَعَلَيْهِ رَدْعُ زَعْفَرَانٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللَّه عليه وسلم: مَهْيَمْ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه؛ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قَالَ: مَا أَصْدَقْتَهَا؟ قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ: بَارَكَ اللَّه لَكَ أَوْلِمْ وَلَوْ

بشاة». أخرجه البخاري (٥١٥٥) ومسلم (١٤٢٧).

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَعْتَقَ صَفِيَّةَ وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا. أخرجه البخاري (٥٠٨٦)، ومسلم (٨٥- ١٣٦٥).

وأجمع المسلمون على مشروعية الصداق في النكاح.

قال ابن المنذر: وأجمعوا أن للمرأة أن تمنع من دخول الزوج عليها حتى يعطيها مهرها- الإجماع لابن المنذر (ص: ٣٩).

حكم الزواج بغير صداق:

اختلف الفقهاء في حكم الزواج بغير صداق على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء: المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم إلى أن الصداق واجب، وإن اشترط عدم الصداق فالنكاح صحيح والشرط فاسد.

واستدلوا على ذلك وجوب الصداق بما يأتي:

قول الله تعالى: « وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً » (النساء: ٤).

وقوله: « فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً » (النساء: ٢٤).

وجه الدلالة:

هذا أمرٌ من الله أزواج النساء المدخول بهن والمسمَّى لهن الصداق، أن يؤتوهن صدُقاتهن، دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسمَّ لها في عقد النكاح صداق- تفسير الطبري (٧/ ٥٥٤).

وحجتهم في جواز النكاح بغير صداق:

قول الله تعالى: « لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً » (البقرة: ٢٣٦).

القول الثاني: ذهب بعض الحنفية وشيخ الإسلام ابن تيمية، أن الصداق شرط في صحة عقد النكاح، فإن لم يسم صداقًا فالنكاح باطل.

واستدلوا على ذلك بما يأتي: قول الله تعالى: « وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم » (النساء: ٢٤).

وجه الدلالة: دلت الآية على وجوب النكاح، فمن طلب النكاح بلا مهر لم يفعل ما أحل الله- مجموع الفتاوى (٣٤/ ١٢٦)

أقوال أهل العلم في المسألة:

أولًا: من قال بوجوب الصداق وإن اشترط عدم الصداق فالنكاح صحيح والشرط فاسد:

قال ابن همام في فتح القدير (٣/٣٠٤): ويصح النكاح وإن لم يسم فيه مهرًا.

قال الحطاب في مواهب الجليل (٣/٤٨١): في معرض ذكره لأركان النكاح، وأما الشهود والصداق فلا ينبغي أن يعدا في الأركان ولا في الشروط لوجود النكاح الشرعي بدونهما.

قال الشيرازي في المهذب (٣/١٨): المستحب أن لا يعقد النكاح إلا بصداق، لما روي عن سعد بن سهل رضي الله عنه «أن امرأة قالت: وقد وهبت نفسي لك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد في رأيك، فقال رجل: زوِّجْنيها قال: قال صلى الله عليه وسلم: اطلب ولو خاتمًا من حديد، فذهب فلم يجئ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل معك من القرآن شيء؟ فقال: نعم فزوجه بما معه من قرآن» أخرجه البخاري (٥١٤٩). ولأن ذلك أقطع للخصوصية ويجوز من غير صداق لقوله تعالى: « لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً » (البقرة: ٢٣٦). فأثبت الطلاق مع عدم الفريضة.

جاء في السيل الجرار (٢/٢٨١): لم يرد ما يدل على أن المهر شرط من شروط العقد أو ركن من أركانه، وأما قوله سبحانه: « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ » (الممتحنة: ١٠)؛ فالمراد أن المهر واجب للمنكوحة لا يجوز أخذ مطلقها منه ولو كان العقد لا يصح إلا بالمهر لم يقل الله عز وجل: « لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً »؛ هذه الآية تفيد أن العقد قد يقع قبل فرض المهر.

جاء في الشرح الممتع (٥/٢٩٥): وهو واجب في كل عقد نكاح، أما إذا اشترط عدم المهر، فالمذهب أن النكاح صحيح والشرط فاسد ولها المهر.

وقول شيخ الإسلام: إن النكاح باطل لا يصح -إذا شرط عدم المهر- قال لأن الله تعالى إنما أباح ما سوى المحرمات بشرط، فقال: «وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم» (النساء: ٢٤)؛ ولأننا لو أجزنا النكاح مع شرط انتفاء المهر لم يكن هنالك فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره في جواز النكاح بالهبة إلا في اللفظ والألفاظ لا عبرة لها بل العبرة بالمعاني.

ثانيا: من قال الصداق شرط في صحة عقد النكاح، فإن لم يسم صداقا فالنكاح باطل.

قال الكاساني في بدائع الصنائع (٢/٤٠٦): في ذكره لشروط النكاح: ومنها المهر، فلا جواز للنكاح بدون المهر عندنا... ثم حكى الخلاف في المسألة - إلى أن قال: ولنا قوله تعالى: «وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم» (النساء: ٢٤): أخبر سبحانه وتعالى أنه أحل ما وراء ذلك بشرط الابتغاء بالمال ودل أنه لا جواز للنكاح بدون المال.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٤/ ١٢٦): فمن تزوج بشرط أنه لا يجب مهر فلم. يعتبر الذي أذن الله؛ فإن الله إنما أباح العقد لمن يبتغي بماله محصنا غير مسافح كما قال تعالى: «وَأُحلَّ لكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالكُمْ مُحْصنينَ غَيْرَ مُسَافحينَ» فمن طلب النكاح بلا مهر فلم يفعل ما أحل الله وهذا بخلاف من اعتقد أنه لا بد من مهر؛ لكن لم يقدره كما قال تعالى: «لاَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً» فهذا نكاح المهر المعروف وهو مهر المثل.

تعقيب وترجيح

ما ذهب إليه جماهير العلماء من أن النكاح صحيح مع انعدام الصداق - إذا رضيت الزوجة - هو ما أرجحه، لأن الجمهور استدل بقول الله تعالى: «لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً» (البقرة: ٢٣٦)، فموضع الدليل من هذه الآية: أن الله تعالى قد أثبت النكاح مع ترك الصداق، وجوز فيه الطلاق والطلاق يكون من نكاح صحيح، والله تعالى أعلم.

قدر الصداق:

سُئلَتْ عَائشَةَ زَوْجَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كَمْ كَانَ صَدَاقُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم؟ قَالَتْ: كَانَ صَدَاقُهُ لأَزْوَاجه ثنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقيَّةً ونَشًا قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُّ؟ قَالَ قُلْتُ: لَا قَالَتْ: نصْفُ أُوقيَّة فَتلْكَ خَمْسُ مائَة درْهَم فَهَذَا صَدَاقُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم لأَزْوَاجه- أخرجه مسلم (١٤٢٦). الأوقية: أربعون درهمًا - شرح مسلم (٥/٢٣٣).

حديث سهل بن سعد الساعدي، وفيه: «... اذْهَبْ فَقَدْ مُلِّكْتَهَا بمَا مَعَكَ منَ الْقُرْآن»-. متفق عليه. وقد تقدم تخريجه.

- حديث أنس بن مالك وفيه أن عبد الرحمن بن عوف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْن نَوَاة منْ ذَهَب فقَالَ صلى الله عليه وسلم: فَبَارَكَ اللهُ لَكَ أَوْلمْ وَلَوْ بشَاة»- متفق عليه. وقد تقدم تخريجه.

- وعن أنس قال خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْم فَقَالَتْ وَالله مَا مثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكنَّكَ رَجُلٌ كَافرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلمَةٌ، وَلَا يَحلُّ لي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ فَإنْ تُسْلمْ فَذَاكَ مَهْري، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلكَ مَهْرَهَا- صحيح سنن النسائي (٣٣٤١).

تقدم أن الصداق حقٌّ للمرأة شُرع لها لتنتفع به، ولم يرد دليل من كتاب أو سنة يحد أكثر المهر أو أقله.

ومن أهل العلم من قدره لكن لا دليل على التقدير من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

عزاء واعتذار

أما العزاء فلإخواني أنصار السنة المحمدية عمومًا ولأهل أخي الشيخ عادل عرفة عضو وخادم التوحيد بفرع أنصار السنة المحمدية بفرع كفر الحاج شربين خصوصًا رحمه الله رحمة واسعة.

> وأما الاعتذار فلتأخر المجلة في تقديم واجب العزاء في أخي عادل رحمه الله، ولعل عذرنا في ذلك ما استقر في قلوبنا أن المصاب مصابنا فضلاً عن تزاحم أعمال الجمعية في مرحلتها التاريخية من توفيق أوضاع وأعمال المجلس، وغير ذلك؛ فلم ننتبه أن ذلك لا يعفينا من واجب المواساة والعزاء لأهل بيته الأقربين، وعلى أي حال فإننا نقول لأولاده: يا أبناءنا! والدكم أخونا، ومصابكم مصابنا.

ودعاؤنا له موصول إن شاء الله وأخلاقه وجهوده وخدمته وبذله وسلوكه كافية لسلب قلوبنا، وأكبر من الوفاء بمكافئتنا، فعلى أخينا رحمات الله تترى، وربنا الكريم نسأل أن يكتب له من كل خير سأل منه رسولنا والصالحون لأموات المسلمين إنه خير مسؤول وأكرم مأمول، والحمد لله رب العالمين.

إخوانه بالمركز العام لأنصار السنة المحمدية.

عزاء واجب

توفي يوم الأحد ١٥ جمادى الأولى ١٤٤٣هـ الشيخ/ طه إبراهيم حشيش؛ إمام وخطيب المجمع الإسلامي بمركز الستامون بمحافظة الدقهلية، وعضو مجلس إدارة جمعية أنصار السنة المحمدية بمركز الستامون منذ تأسيس الجمعية بمركز الستامون سنة ١٩٩٦م، ويشهد له الجميع بالزهد والورع والتقى، وكان حريصًا على صيام نبي الله داود-عليه السلام- حتى لقي ربه. وهو شقيق المحدِّث الشيخ علي إبراهيم حشيش. نسأل الله له المغفرة والرحمة.

غزوة بدر

الحلقة 3

إعداد: **د/ سيد عبد العال**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين.

أما بعد: فما زلنا في غزوة بدر الكبرى، وبعد أن استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم نَدَب رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّم النَّاس، فانطلقوا نحو بدرٍ؛

وعن أنس رضي الله عنه: فنَدَب رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم النَّاس، فانطلقوا حتَّى نزلوا بدرًا، ووردتْ عليهم روايا قُريش، وفيهم غُلامٌ أسودُ، فأخذُوهُ؛ فكانوا يسألُونهُ عنْ أبي سُفْيَانَ، وأصحابه؛ فيَقُولُ: ما لي علمٌ بأبي سُفْيَانَ، ولكنْ هذا أبُو جهْلٍ، وعُتْبَةُ، وشَيْبَةُ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَف، فإذا قال ذلك ضربُوهُ، فقال: نعمْ، أنا أُخبرُكُمْ، هذا أبُو سُفْيان، فإذا تركُوهُ؛ فسألُوهُ، فقال: ما لي بأبي سُفْيان علمٌ، ولكنْ هذا أبُو جهْلٍ، وعُتْبةُ، وشيبةُ، وأُميَّةُ بنُ خلف، في النَّاس، فإذا قال هذا -أيْضًا- ضربُوهُ، ورسُولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قائمٌ يُصلِّي، فلمَّا رأى ذلك انْصرفَ، قالَ: «والَّذي نفْسي بيده، لتضْربُوهُ إذا صدقكُمْ، وتتْرُكُوهُ إذا كذبكُمْ»، قالَ: فقالَ رسُولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «هذا مصْرعُ فُلانٍ»، قالَ: ويضعُ يدهُ على الأرْض «هاهُنا، هاهُنا»، قالَ: فما ماط أحدُهُمْ عنْ موْضع يد رسُول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. (صحيح مسلم ١٧٧٩).

ثُمَّ قالَ: سيرُوا وأبْشرُوا، فإنَّ اللَّهَ تعالى قدْ وعدني إحْدى الطَّائفتيْن.

وعن أنس قال: كُنَّا مع عُمر بيْنُ مكَّة والمدينة... ثُمَّ أنْشأ يُحدِّثُنا عنْ أهْل بدْرٍ، فقال: إنَّ رسُولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، كانَ يُرينا مصارع أهْل بدْرٍ، بالأمْس، يقُولُ: «هذا مصْرعُ فُلانٍ غدًا، إنْ شاء اللهُ»، قال: فقال عُمرُ: فوالَّذي بعثهُ بالحقِّ ما أخْطؤُوا الحُدُود الَّتي حدَّ رسُولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. (صحيح مسلم ٢٨٧٣).

وعنْ عليٍّ رضي الله عنه سار رسُولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى بدْرٍ، وبدْرٌ بئْرٌ؛ فسبقْنا المُشْركينَ إليْها؛ فوجدْنا فيها رجُليْن منْهُمْ، أحدهُما مولى عُقْبة؛ فأخذْناهُ، فجعلْنا نقُولُ لهُ: كم القوْمُ؟ فيقُولُ: هُمْ واللهِ كثيرٌ عددُهُمْ، شديدٌ بأسُهُمْ؛ فجعل المُسْلمُونَ إذْ قال ذلك ضربُوهُ، حتَّى انْتهوْا به إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم فقال لهُ: «كم القوْمُ؟» قال: هُمْ واللهِ كثيرٌ عددُهُمْ، شديدٌ بأْسُهُمْ فجهد النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أنْ يُخْبرهُ كمْ هُمْ، فأبى ثُمَّ إنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم سألهُ: «كمْ ينْحرُون من الجُزُر؟» فقال: عشْرًا كُلَّ يوْمٍ، فقال رسُولُ الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «القوْمُ ألْفٌ، كُلُّ جزُورٍ لمائةٍ» (مسند أحمد (٩٤٨) وهو صحيح).

وفي هذا السياق فوائد:

١- الروايا: حوامل الماء أي ورعاتها

٢- وقوله: «فما ماط أحدهم» أي: فما بعُدَ مصرعُ أحدِهم عن موضع إشارة يده صلى الله عليه وسلم.

٣- وفى ضرب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غلام قريش؛ ليسألوه، جواز تهديد المتهم وتخويفه ليصدق.

٤- وجواز ضرب الأسير من العدو لمعنى يوجب ذلك، ويستخبر ما عنده من سر العدو.

٥- ويحتج به في تهديد الحكام للمتهمين ليصدقوا عن أحوالهم، وينكشف لهم تهمتهم. (فتح المنعم (٧/ ٢٥٠)، وإكمال المعلم (٦/١٣٧).

وقيده الخطابي فقال: وفيه دليل على جواز ضرب الأسير الكافر إذا كان في ضربه طائل. (معالم السنن ٢/ ٢٨٦).

٦- انصرافه صلى الله عليه وسلم من الصلاة فيه استحباب تخفيفها إذا عرض أمر في أثنائها.

٧- وفيه معجزتان إحداهما: إخباره صلى الله عليه وسلم بمصرع جبابرتهم فلم يبرح أحد مصرعه.

الثانية: إخباره صلى الله عليه وسلم بأن الغلام الذي كانوا يضربونه يصدق إذا تركوه ويكذب إذا ضربوه وكان كذلك في نفس الأمر والله أعلم. (شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٢٦).

٨- فيه دليل على أن المتهم إذا أقر بما يتهم به يترك ضربه ويصدق في الظاهر. (شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١١/ ٥٠٧).

٩- فيه: ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من شغل أوقاته بالصلاة النافلة حتى في وقت الشدة. (فتح المنعم (٧/ ٢٥٠)

١٠- وفيه: أن المصلي إذا كان في صلاته؛ فتكلم عنده القوم ففهم ما يقولونه لم تبطل صلاته؛ لأن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فهم ما جرى لأصحابه مع الغلام، وأجابهم بعد انقضاء صلاته بما دل على أنه فهم ما جرى لهم. (الإفصاح ٥/٣٦٥).

١١- ويستفاد من حديث أنس عن عمر تعليم الكبار للصغار ورواية المغازي لهم. وفيه رواية صحابي عن صحابي.

١٢- المصرع: موضع المصروع، وهو الملقى على الأرض، وإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك من أعظم المعجزات الدالة على صدقه. (كشف المشكل لابن الجوزي (١/ ١٤٨).

مشورة صائبة من سعد:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّه بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّهُ حُدِّثَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّه أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيه وَنُعِدُّ عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبًّا لَكَ مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ فَأَثْنَى عَلَيْه رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم خيرًا ودعا لَهُ بِخَيْرٍ، ثُمَّ بُنِيَ لرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم عَرِيشٌ كَانَ فِيه. (السيرة لابن كثير (٢/ ٤٠٣).

ويشهد له حديث ابن عباس الآتي، وفيه فضيلة لسعد رضي الله عنه.

ليلة بدر: كانت ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رمضان وهناك أشياء بارزة في هذه الليلة منها ما يلي:

١- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: قال علي رضي الله عنه في حديثه السابق: ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا، مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَدْعُو رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقُولُ: «اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِه الْفِئَةَ لَا تُعْبَدْ» قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: «الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّه»، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ، وَالْحَجَفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ. (مسند أحمد (٩٤٨) وإسناده صحيح).

عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ،

وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» (الأنفال: ٩) فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. (صحيح مسلم ١٧٦٣).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ» (القمر: ٤٦) (صحيح البخاري (٢٩١٥).

٢- النعاس:

فقال الله تعالى: «إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ»؛ قال ابن كثير: يُذَكِّرُهُمُ اللَّهُ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ إِلْقَائِهِ النُّعَاسَ عَلَيْهِمْ، أَمَانًا مِنْ خَوْفِهِمُ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَلِّي تَحْتَ شَجَرَةٍ وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ. (مسند أحمد (١١٦١) واسناده صحيح).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: النُّعَاسُ فِي الْقِتَالِ أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ.

وَكَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ سَجِيَّةً لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ شِدَّةِ الْبَأْسِ لِتَكُونَ قُلُوبُهُمْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِنَصْرِ اللَّهِ. وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ وَنِعَمِهِ عَلَيْهِمْ.

٣- المطر: «وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أي: المطر الَّذِي أَصَابَهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَحَبَسَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَسْبِقُوا إِلَى الْمَاءِ، وَخَلَّى سَبِيلَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ «لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ» أَيْ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ شَكَّ الشَّيْطَانِ، لِتَخْوِيفِهِ إِيَّاهُمْ عَدُوَّهُمْ، وَاسْتِجْلَادِ الْأَرْضِ لَهُمْ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَنْزِلِهِمُ الَّذِي سَبَقُوا إِلَيْهِ عَدُوَّهُمْ. (تفسير ابن كثير (٤/٢٢)، وابن هشام (١/٦٦٧).

وفي هذه الأحداث فوائد: منها أن الدعاء من أسباب النصر والتمكين، وفيها أهمية الأخذ بالأسباب من حيث الدعاء واتخاذ القبة وملازمة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم؛ ليكون ثاني اثنين في الدعاء ورفع الرداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه قوة يقين أبي بكر رضي الله عنه وتأييد الله للمؤمنين بالمطر؛ فكان نافعًا لهم مضرًا لأعدائهم.

قال الخطابي: لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحال، بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم؛ لأنه كان أول مشهد شهده؛ فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك؛ لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة، فلما قال له أبو بكر ما قال كفَّ عن ذلك، وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة، فلهذا عقب بقوله: «سيُهزم الجمع» انتهى، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة في مقام الخوف وهو أكمل حالات الصلاة، وجاز عنده أن لا يقع النصر يومئذٍ لأن وعده بالنصر لم يكن معينًا لتلك الواقعة وانما كان مجملاً، هذا الذي يظهر. (فتح الباري ٧/٢٨٩).

وفيها فوائد أخرى نكملها في العدد القادم- إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الرِّياض النديَّة في خصائص خير البريَّة (١)

الكوثر والحوض من الخصائص النبوية

إعداد / الشيخ: معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد اختص الله نبيه محمدًا بجملة من الخصائص، لم يَخُصَّ بها أحدًا قبله من الأنبياء؛ تكريمًا لمقامه بين الأنبياء، وتشريفًا لمكانته بين الرسل، كيف لا وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو خير خلق الله أجمعين.

إن إثبات المزايا والخصائص التي ميَّز الله عز وجل بها نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم، والأخلاق التي زينه بها صلى الله عليه وسلم، واعتقاد اختصاصه بهذه الكمالات؛ واجب شرعًا تتوقف عليه صحة عقيدة المسلمين، كما صرح بذلك العلماء؛ لأن الله تبارك وتعالى تولى بيان هذه المرتبة العالية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في وضوح وجلاء، كما بينته سنة النبي صلى الله عليه وسلم المتواترة، وكذا إجماع العلماء.

إن تبيان أسرار هذه الخصائص العظمى كان أحد المهام التي كلف الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وخليله محمدًا عليه الصلاة والسلام ببيانها، فقال عز وجل مخاطبًا إياه: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» (الضحى:١١). أمر نبينا صلى الله عليه وسلم أن يحدث أمته بما أنعم الله عليه؛ ليعرفوا قدره ويعتقدوه، ويزدادوا حبًا له وتعظيمًا.

ولا شك أن تتبُّع ما صحَّ من فضائله وخصائصه صلى الله عليه وآله وسلم من أسباب تعمير القلوب بمحبته، ومن الواجب علينا أن نعتقد بكل ما جاء في الكتاب والسنة وأجمعت الأمة عليه من خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أولاً: الكوثر والحوض من الخصائص النبوية:

والكوثر نهر عظيم في الجنة أعطاه الله نبيه صلى الله عليه وسلم زيادة في إكرامه ولطفه به وبأمته، وهو من خصائص وفضائل نبينا صلى الله عليه وسلم في الآخرة، وهو يصب في حوض له صلى الله عليه وسلم- فهو مادة الحوض، كما قال ابن حجر في «الفتح».

وقد فسّر الكوثر بأنه نهر في الجنة، كما جاء في حديث أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها أنه قال: (سألتها عن قوله تعالى: «إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ» (الكوثر: ١) قالت: «هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم، شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم» (رواه البخاري: ٤٩٦٥).

من معاني الكوثر:

والكوثر يطلق على عدة معان دائرة حول الكثرة والاتساع، ومن تعريفات أهل اللغة له ما قاله الأزهري: الكوثر فوعل من الكثرة، ومعناه الخير الكثير. (تهذيب اللغة ١٠/١٧٨).

وقال ابن حجر: والكوثر فوعل من الكثرة، سمي بها لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره. (فتح الباري ٨/ ٧٣١).

قال الشوكاني رحمه الله: (وذهب أكثر المفسرين إلى أن الكوثر نهر في الجنة، وقيل: هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف، قاله عطاء.(فتح القدير: ٥/٥٠٢).

الكوثر نهر في الجنة

روى مسلم في صحيحه (٦٠٧) عن أنس رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ غفا إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علي سورة. فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم. (إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ)، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة» الحديث.

وعند الترمذي (٣٢٨٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت.. الحديث». وقال الترمذي: إنه حسن صحيح. وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي (٣/١٣٥).

صفة نهر الكوثر:

من صفات نهر الكوثر:

١- ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بينا أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك قال: فضرب الملك بيده، فإذا طينه أو طيبه مسك أزفر».

٢- وفي المسند (١٢٠٨٤) عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أعطيت الكوثر، فإذا هو نهر يجري على ظهر الأرض، حافتاه قباب اللؤلؤ، ليس مسقوفًا فضربت بيدي إلى تربته، فإذا تربته مسك أزفر، وحصباؤه اللؤلؤ» وصححه الالباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١٣).

٣- وفي رواية عنه في المسند أيضًا (١٢٨٢٨) أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ الْكَوْثَرِ فَقَالَ: «ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر (الابل). قال عمر: إنَّ تلْكَ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكلتُها أنعمُ منْها يا عُمر» وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٤٠).

الحوض المورود «حوض الكوثر»:

إنه حوض عظيم- والحوض هو: مجمع الماء- يوضع في أرض المحشر يوم القيامة ترد عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الحوض يأتيه ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة، ولذا يسمى حوض الكوثر والدليل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه (٤٢٥٥) من حديث أبي ذر « أن الحوض يشخب (يصب) فيه ميزابان من الجنة » وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها ، كما قال ذلك ابن حجر رحمه الله في الفتح (١١ / ٤٦٦). والله أعلم.

صفة حوض النبي صلى الله عليه وسلم:

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أوصافا متعددة لحوضه، فمن أوصافه:

١- ما رواه البخاري (٦٠٩٣) ومسلم (٤٢٤٤) عن عبد الله بن عمرو رضِي الله عنه أنه قال: قَال النَّبِيُّ صَلَّى الله عليْه وَسَلَّمَ: « حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا ».

٢- وفي صحيح مسلم (٤٢٦١) عن أَنَسٍ رضي الله عنه قَال نَبِيُّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السماء» وفي رواية: «أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

٣- وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي (مؤخر الحوض) أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عليهم (يسيل عليهم). فَسُئِلَ عن عَرْضِه فقال: من مقامي إلى عَمَّانَ وَسُئِلَ عن شَرَابِه فقَال: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فيه ميزابان يَمُدَّانه مِنَ الجَنَّة، أَحَدُهُما من ذَهَبٍ، والآخَرُ من وَرِقٍ. وفي رواية: أنا، يَومَ القِيامَة، عِنْدَ عُقْرِ الحَوْضِ» (صحيح مسلم ٢٣٠١).

قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه؛ مجازاة لهم بحسن صنيعهم، وتقدمهم في الإسلام، والأنصار من اليمن فيَدفع غيرهم حتى يشربوا، كما دفعوا في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم أعداءه، والمكروهات. اهـ.

أحاديث الحوض مشهود لها بالتواتر

وأحاديث الحوض لا شك في تواترها عند أهل العلم، فقد رواها أكثر من خمسين صحابيًا، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أسماء رواة أحاديثه من الصحابة في الفتح (٤٦٨/١١) حتى قال القرطبي في المفهم شرح صحيح مسلم: « مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي».

المطرودون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم؟!

وردت أحاديث كثيرة في ذكر المطرودين عن حوضه صلى الله عليه وسلم، وهي تحمل في طياتها تحذيرات من سلوك طريقهم، منها:

ما رواه مسلم في صحيحه (٣٦٧) عَنْ أَبي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فقَال: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّه بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا » قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَال: « أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ »، فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فقَال: « أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ » قَالُوا: بَلَى

يَا رَسُولَ اللَّه. قَالَ: « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا ».

والغرَة بياض في وجه الفرس. والتحجيل: بياض في قوائمه. و(دُهْم بُهَم) أي: أسود شديد خالص لا يخالطه لون آخر.

قال النرطبي رحمه الله: « قال علماؤنا رحمهم الله أجمعين: فكل من ارتد عن دين اله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أسناف أهوائها-ومن نحا نحوهم أو سلك طريقهم-، وكذلك الظلمة المسرفن في الجور والظلم وتطميس الحق بقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع.. » (التذكرة للقرطبي: ص٣٠٦).

الوردون حوضه صلى الله عليه وسلم:

يرد حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الجملة كل مؤمن لم يتلبس بمانع من موانع ورود الحوض التي تضمنتها الأحاديث السابقة، غير أن النبي ذكر بعض الأعمال الخاصة التي هي أسباب لنيل شرف ورود حوضه صلى الله عليه وسلم منها:

١- الاعتصام بالكتاب والسنة، والثبات على ذلك، والبعد عن البدع المحدثة في الدين وكبائر الذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تركتُ فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتابَ الله، وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَردا عليَّ الحوضَ » (صحيح الجامع ٢٩٣٧).

٢- الصبر عند الأثرة:

ويدل على ذلك حديث عبد الله بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته للأنصار رضي الله عنهم: « إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ » (صحيح مسلم ١٨٤٥). ومعنى ستلقون بعدي أثرة، أي: أن الأمراء بعدي يفضلون عليكم غيركم ممن هو أقل كفاءة منكم.

٣- عدم الدخول على أئمة الجور ممالأةً ونفاقًا لهم:

فعن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إنه ستكون بعدي أمراءُ، مَن دخَل عليهم فصدَّقهم بكَذبهم، وأعانَهم على ظلمهم فليس مِنِّي ولستُ منه، وليس يَردُ عليَّ الحوضَ، ومَن لم يَدْخُلْ عليهم، ولم يُصدِّقهم بكَذبهم، ولم يُعنْهم على ظلمِهم فهو منِّي وأنا منه، وسيَردُ عليَّ الحوضَ » (صحيح النسائي: ٤٢١٩).

قال الشيخ بن باز رحمه الله: فإذا دخل عليهم بالتوجيه والإرشاد وتخفيف الشر: هذا هو المطلوب، أما إذا دخل عليهم ليعينهم على الظلم ويصدقهم بالكذب فهذا هو المذموم، نسأل الله العافية (مجموع الفتاوى).

وبعد، فهذا هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ذكرناه بأوصافه، وأوصاف أهله، وأوصاف المطرودين عنه، حتى يعلم المسلم السبيل إليه، في يوم عظم خطره، واشتد حره، فعلى العبد أن يجتهد في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم مخالفته في أي شيء من هديه، رجاء أن يمن الله عليه بالشرب من حوضه المبارك شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

والله الموفق والمستعان.

نظرات في زواج التحليل (٣)

حكم زواج التحليل

إعداد: **د. محمد عبد العزيز**

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» (سبأ: ١)

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد: فهذه المقالة الثالثة في زواج التحليل، وهي مقالة مختصرة، المراد منها بيان مسألتين، وهما:

الأولى: أشهر صور زواج التحليل الواقعة بين الناس.

الثانية: حكم زواج التحليل في جميع صوره.

المسألة الأولى: أشهر صور زواج التحليل الواقعة بين الناس:

من أهم صور زواج التحليل التي تقع بين الناس، أو يذكرها أهل العلم في هذه المسألة سبع صور:

الصورة الأولى: أن يتزوجها: مسلم، حر، عاقل، بالغ، مرغوب فيه، غير مقصود بزواجه التحليل، نكاحًا صحيحًا، ثم يطؤها في فرجها، وهما عاقلان، ثم يموت عنها، أو يطلقها، وهو صحيح، أو تختلع منه، أو ينفسخ نكاحها، فيحل بهذا للزوج الأول أن يتقدم لنكاحها؛ لأن طلاقها قد انهدم بالزواج من الزوج الثاني، وقد انعقد على هذا إجماع الفقهاء.

وممن ساق الإجماع على ذلك ابن حزم في مراتب الإجماع (ص ٣٥٧-٣٥٨)

وقد خالف في بعض هذا بعض الفقهاء فاشترطوا شروطا أخرى فمنها:

١- اشتراط الحسن البصري لتحل للزوج الأول أن يطأها الثاني وطئًا فيه إنزال فإن لم ينزل فلا تحل للأول، وقد خالف بقوله هذا سائر الفقهاء في قولهم: بأن مجاوزة الختان للختان يحلها للأول.

قال ابن بطال في شرح البخاري (٧ / ٤٧٩): «كذلك شذ عنه الحسن البصري، فقال: لا تحل للأول حتى يطأها الثاني وطئًا فيه إنزال، وقال: معنى العسيلة الإنزال، وخالفه سائر الفقهاء، وقالوا: التقاء الختانين يحلها للزوج الأول.

وقالوا: ما يوجب الحد، والغسل، ويفسد الصوم والحج، ويحصن الزوجين، ويوجب كمال الصداق يحل المطلقة، والعسيلة كناية عن اللذة».

وقال النووي في شرح مسلم (١٠ / ٤): «اتفق العلماء على أن تغييب الحشفة في قبلها كافٍ في ذلك، من غير إنزال».

٢- اشترط بعض الفقهاء ألا يقع الوطء في: صوم فرض، أو إحرام بحج أو عمرة أو حيض، أو نفاس فإن وقع في واحد منه فلا تحل للزوج الأول، وهو مذهب مالك، وظاهر مذهب الحنابلة.

قال ابن قدامة في المغني (١٠ / ٥٤١): «وشترط أصحابنا أن يكون الوطء حلالا، فإن وطئها في حيض، أو نفاس، أو إحرام من أحدهما، أو منهما، أو أحدهما صائم فرضًا، لم تحل.

وهذا قول مالك؛ لأنه وطء حرام لحق الله تعالى فلم يحصل به الإحلال، كوطء المرتدة.

وظاهر النص حلها، وهو قوله تعالى: «حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ» (البقرة: ٢٣٠).

وهذه قد نكحت زوجا غيره، وأيضا قوله: "حتى تذوقي عسيلته، ويذوق عسيلتك".

وهذا قد وجد. ولأنه وطء في نكاح صحيح في محل الوطء على سبيل التمام، فأحلها، كالوطء الحلال، وكما لو وطئها وقد ضاق وقت الصلاة، أو وطئها مريضة يضرها الوطء.

وهذا أصح إن شاء الله تعالى.

وهو مذهب أبي حنيفة، والشافعي».

٣- أجاز سعيد بن المسيب رجوعها إلى الزوج الأول بشرط أن يتزوجها الثاني زواجًا صحيحًا زواج رغبة لا يريد به إحلالا، وإن لم يطأها الزوج الثاني، وهو مذهب الخوارج.

الإشراف على مذاهب أهل العلم، لابن المنذر (١ / ١٧٩).

وهو قول شاذ لم يعرج عليه أحد لقوله صلى الله عليه وسلم لتميمة بنت وهب امرأة عبد الرحمن بن الزبير لما قالت: «يا رسول الله، إن رفاعة طلقني فبت طلاقي، وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزَّبير القرظي، وإنما معه مثل هُدبة الثوب؟

وفي رواية: «فدخل بي ولم يكن معه إلا مثل هدبة الثوب فلم يقربني إلا هنة واحدة لم يصل مني إلى شيء»

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته».

أخرجه البخاري في مواضع منها: (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣).

قال ابن تيمية: وما يذكر عن ابن المسيب من عدم اشتراط الوطء ... وهو قول شاذ، صحت السنة بخلافه، وانعقد الإجماع قبله وبعده. مختصر الفتاوى المصرية، للبعلي (ص ٤٤٩).

وقال ابن المنذر: أجمع العلماء على اشتراط الجماع لتحل للأول إلا سعيد بن المسيب. فتح الباري، لابن حجر (٩ /٤٦٧).

الصورة الثانية: أن يشترط الزوج المحلل في صلب العقد على نفسه لفظا مع أحد الزوجين أو ولي المرأة أنه إن دخل بالمرأة دخولاً صحيحًا أن يطلقها.

الصورة الثالثة: أن يشترط الزوج المحلل قبل العقد على نفسه لفظا مع أحد الزوجين أو ولي المرأة أنه إن دخل بالمرأة دخولاً صحيحًا أن يطلقها.

والفرق بين الصورة السابقة وهذه الصورة أن الصورة السابقة الشرط فيها في صلب العقد، وفي هذه الصورة الشرط سابق للعقد ولم يذكر في صلبه.

الصورة الرابعة: أن يتزوج الزوج المحلل المرأة ليحلها لزوجها بدون اشتراط ولا تصريح، لكن يعلم من حاله وعلاقته بالزوجين أو أحدهما أنه يريد ذلك، فينزل الحال منزلة التواطؤ.

الصورة الخامسة: أن يتزوج الزوج المحلل المرأة ليحلها لزوجها بدون اشتراط ولا تصريح، بل يفعله تطوعًا دون علم أحد الزوجين بنيته منفردة؛ لتحل لزوجها يرجو بذلك الأجر.

الصورة السادسة: أن يتزوجها فإن أعجبته أمسكها وإلا كان قد احتسب في تحليلها للزوج الأول.

الصورة السابعة: أن تنوي: المرأة أو المطلق أو ولي المرأة: بالزواج من الزوج الثاني إحلال المرأة للمطلق، ثم تطلق من الزوج الثاني أو تختلع أو تفسخ العقد: لتحل بذلك لزوجها الأول، والزوج الثاني لا يعلم بهذا القصد.

المسألة الثانية: حكم زواج التحليل في جميع صوره:

لا شك أن زواج التحليل محرم حتى استحق فاعله اللعن، وسمى النبي صلى الله عليه وسلم فاعله التيس المستعار، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مجمعون على تحريم نكاح التحليل وبطلانه، وأهل الكتاب يعدونه منقصة في أهل الإسلام لظنهم مشروعيته في ديننا، وقد قال ابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين (٤ / ٤٢٤): «ونكاح المحلل لم يُبح في ملة من الملل قط، ولم يفعله أحدٌ من الصحابة، ولا أفتى به واحد منهم».

وقبل البدء في مناقشة المسألة لابد من التنبه إلى أمرين:

الأول: أننا لن نتناول في هذه المسألة الصورة الأولى لأنها صورة صحيحة بالإجماع.

الثاني: أننا لن نتناول في هذه المسألة الصورة الأخيرة، لأن المعتبر في الصور السابقة نية وقصد الزوج المحلل، لا الزوج المطلق ثلاثا، ولا المرأة المطلقة، ولا الولي.

فلو كانت نية وقصد الزوج المحلل استمرار

النكاح صح النكاح؛ فلا اعتبار لنية واحد من هؤلاء ـــ الزوج المطلق، أو المرأة، أو الولي ـــ لحديث تميمة بنت وهب امرأة عبد الرحمن بن الزبير ففيه قوله صلى الله عليه وسلم: «لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عُسَيلتك، وتذوقي عُسَيلته»، وقد سبق قريبًا.

فقد سعت تميمة بنت وهب في فسخ النكاح لترجع لرفاعة القرظي فلم يؤثر قصدها في صحة العقد، ولذا قال عبد الرحمن بن الزبير: «والله يا رسول الله، إني لأنفضها نفض الأديم، ولكنها ناشز، تريد رفاعة». [أخرجه البخاري (٥٨٢٥)].

ولم يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم نيَّتها وقصدها؛ لأن الطلاق ليس إليها.

ولا خلاف أن هذا المقصد غير جائز، لكن الحديث الآن في صحة النكاح لا في حكم هذا المقصد.

قال ابن قدامة في المغني (١٠ / ٥٣): «فإن شرط عليه أن يحلها قبل العقد، فنوى بالعقد غير ما شرطوا عليه، وقصد نكاح رغبة، صح العقد؛ لأنه خلا عن نية التحليل وشرطه، فصح، كما لو لم يذكر ذلك، وعلى هذا يحمل حديث ذي الرقعتين.

وإن قصدت المرأة التحليل، أو وليها دون الزوج، لم يؤثر ذلك في العقد».

وقد ذهب إبراهيم النخعي، والحسن البصري، وأبو عبيد إلى أنه إن كان نية أحد الثلاثة: الزوج الأول، أو الزوج الآخر، أو المرأة أنه محلل، فنكاح الآخر باطل، ولا تحل للأول. [الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لابن المنذر (٩ / ٢٧٦- ٢٧٧)].

وبناء على ما تقدم:

فسوف نتناول في هذه المسألة حكم الصور الخمس من الصورة الثانية إلى الصورة السادسة باختصار، نسأل الله السداد والرشاد والتوفيق إلى الحق بإذنه.

اختلفت مذاهب أهل العلم في صحة زواج التحليل بعد اتفاقهم على أنه منهي عنه على مذاهب أهمها:

المذهب الأول: بطلان زواج التحليل في صوره الخمس، وهو قول الجمهور، وقد نُقِلَ فيه الإجماع.

وقد استدلوا على ذلك بأدلة منها:

١ - قوله تعالى: «فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ» (البقرة: ٢٣٠).

فاشترط في الآية:

أ - أن تنقضي عدتها من زوجها الأول المطلق فالعدة مانع من النكاح.

ب - أن تنكح زوجًا غيره، فقد جعل الشارع عقد الزواج الثاني مع البناء بالمرأة سببًا في هدم طلقات الزوج الأول.

ج - أنه يفارقها الزوج الثاني سواء كانت الفرقة فرقة طلاق وهي الفرقة المذكورة في الآية، أو فرقة فسخ، أو موت، ففرقته شرط في حل زواجها من غيره.

د - أن تعتد من فرقة زوجها الثاني فإن كانت طلاقًا أو خلعًا اعتدت منه: إما بثلاثة قروء، أو بوضع الحمل، أو بثلاثة أشهر، وإن كانت الفرقة بموت اعتدت منه بأربعة أشهر وعشرًا، أو بوضع الحمل فعدتها مانع من نكاحها.

وعلى هذا فالمحلل ليس زوجًا شرعًا؛ لأنه لم يعقد على المرأة لتحل له، لكن بقصد فرقتها لتحل لغيره، والعبرة في العقود بمقاصدها.

أن بناءه بالمرأة بعد العقد ليس المقصود منه إعفاف نفسه، وإعفاف المرأة، وطلب الولد، والتماس السكن، لكن المقصود منه إيقاع الفرقة لتحليل المرأة لأجنبي محرم عليها، وليس هذا من المقاصد التي شرعت.

٢ - حديث: «لعن الله: المُحلِّل، والمحلَّل له»، وقد سبق تخريجه بشيء من التفصيل في المقال السابق.

ووجه الدلالة في الحديث:

- أن الرسول صلى الله عليه وسلم لعن من تزوج للتحليل، ولعن المطلق المحلل له، واللعن لا يكون لفاعل مباح لم يرتكب في عقده محرمًا ولا قبيحًا.

- أن الحديث عام عمومًا لفظيًا ومعنويًا؛ لأن المحلل وصف محلى بأل فكأنه قال: لعن الله كل محلل، فيشمل ذلك كل صور التحليل.

فتخصيص الحديث بصورة واحدة وهي: إذا ما

اشترط المحلل في صُلب العقد أنه إن تزوجها فبنى بها فهي طالق، وهي صورة نادرة جدًا، والصور الواقعة في التحليل أضعاف أضعاف هذه الصورة، تخصيص للفظ العام بغير مخصص. [ينظر: أعلام الموقعين (٤ / ٤١٠).

ولذا قال الحافظ في التمييز (٥ / ٢٣٢٠): «استدلوا بهذا الحديث على بطلان النكاح:

- إذا شرط الزوج أنه إذا نكحها بانت منه.
- أو شرط أن يطلقها، أو نحو ذلك.

وحملوا الحديث على ذلك، ولا شك أن إطلاقه يشمل هذه الصورة، وغيرها».

٣- حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: هو المحلل، لعن الله المُحلِّل، والمُحلَّل له».

أخرجه وابن ماجه (١٩٣٦)، والدارقطني (٣٥٧٦)، والحاكم (١٩٩/٢)، والبيهقي (١٤١٨٧) (١٤١٨٨)، وقد سبق تخريجه بشيء من التفصيل في المقال السابق.

ووجه الدلالة في الحديث:

هو نفس وجه الدلالة في الحديث السابق. ويزيد عليه أنه صلى الله عليه وسلم سمى المحللِ تيسًا مستعارًا ولا يذم من أتى مباحًا فضلاً عن إتيانه بمستحب.

٤ - حديث عبد الله بن عمر، فعن نافع قال: جاء رجل إلى ابن عمر، فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا، فتزوجها أخ له من غير مؤامرة بينهم ليحلَها لأخيه: هل تحلُ للأول؟

قال: لا، إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحًا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخرجه الحاكم (٢/ ١٩٩)، ومن طريقه البيهقي (٧/ ٢٠٨)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه ابن تيمية في "بيان الدليل (ص٤٧٩).

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦٢٤٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٦٧): ورجاله رجال الصحيح.

ووجه الدلالة في الحديث:

-أنه ذكر لابن عمر رضي الله عنه ــ التحليل بمجرد نية المحلل دون مواطأة، فذكر للسائل أن الصحابة كانوا يعدونه زنا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا له حكم الرفع؛ لأنه أضافه لزمن التشريع.

٥- إجماع الصحابة على تحريم التحليل وبطلانه.

قال الترمذي في جامعه بعد رواية حديث عبد الله بن مسعود قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحل والمحلل له»

«والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمرو، وغيرهم.

وهو قول الفقهاء من التابعين، وبه يقول: سفيان الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق.

وسمعت الجارود يذكر، عن وكيع أنه قال بهذا، وقال: ينبغي أن يرمى بهذا الباب من قول أصحاب الرأي.

قال جارود: قال وكيع: وقال سفيان: إذا تزوج الرجل المرأة ليحللها، ثم بدا له أن يمسكها فلا يحل له أن يمسكها حتى يتزوجها بنكاح جديد».

وقال ابن قدامة في المغني (١٠ / ٤٩): «نكاح المحلل حرام باطل، في قول عامة أهل العلم: منهم: الحسن، والنخعي، وقتادة، ومالك، والليث، والثوري، وابن المبارك، والشافعي.

وسواءٌ قال:

- زوجْتكها إلى أن تطأها.
- أو شرط أنه إذا أحلها فلا نكاح بينهما.
- أو أنه إذا أحلها للأول طلقها».

وقال ابن تيمية في مختصر الفتاوى المصرية (ص ٤٢٤): «نكاح المحلل حرام بإجماع الصحابة: عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم رضي الله عنهم».

٦- أنه هذا الزواج أشبه المتعة في التأقيت، فالمتعة ينفسخ عقدها بمضي وقتها، وهذا يشترط فيه الفرقة بمجرد وطء المرأة.

٧ - أنه حيلة لإسقاط الشرط الشرعي.

هذا ما يسره الله في هذا المقال، والى لقاء قريب بإذن الله تعالى.

المناهج التربوية الإيمانية في القرآن في مواجهة الفلسفات التربوية المعاصرة

إعداد
د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعدُ؛ فمن عجب أن بعض الأصوات المنكرة والآراء الضالة المنفرة والتوجهات المستبشعة والفلسفات الواهية من المنتسبين إلى مسميات مستوردة من بلاد تعاني من فحش الأخلاق وسوء السلوك التي تأباها الفطرة السليمة السوية كالعلمانية والليبرالية وغيرهما، ينكرون ما للقرآن الكريم من تأثير إيجابي وفعال يسهم إسهامًا فريدًا في إصلاح الفرد وبناء المجتمع على أساس من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره وجنته وناره، واتباع النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين.

فتراهم يهاجمون رسالة الإسلام الخالدة المتمثلة في النبعين الصافيين: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويشجعون ما يخالفهما، ويستهزؤون بالجموع الحاشدة المسلمة التي تتمسك بهما ولا ترضى بغيرهما بديلاً رغم الحملات المنهجة الطاعنة فيهما من الشرق والغرب ليل نهار وفي السر والجهار، والتي تفتقر إلى الدليل والحجة والبرهان ومنطق العقل؛ فهم لا يملكون من معاول الهدم غير التحريف والتبديل وابتداع المعنى والسباب والتهكم والاستهزاء والسخرية حتى من قارئ يتلو كتاب ربه فينزعجون انزعاج الجاهل الضال المضل المعتدي الأثيم، وقد يصور هذا بعد ما يجيش في حنايا نفوس الذين يجهلون دين الاسلام وحرموا نعمة الانتهال من النبع الالهي الخالص القرآن الكريم الذي لم يجد العرب عزًا أو نصرًا أو تكريمًا إلا بعد نزوله على خير خلقه صلى الله عليه وسلم، فلم يكونوا قبل تنزله شيئًا مذكورًا؛ فقد كانوا أعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانًا، وعلى الحق أعوانًا، وعلى العلم والمعرفة دليلاً وبرهانًا.

وجعل من الإنسان المسلم أنموذجًا فريدًا في نقاء النفس وسلامة القلب وحسن الخلق ورقي السلوك ونزاهة التصرف في المواقف وسائر المعاملات يقدم عبر التاريخ القديم والحديث مثالاً حيًا للإنسان المكرم الطاهر النظيف الصالح المصلح مادام مع كتاب الله يدور معه حيث دار يعمل بموجبه ويلتزم بأوامره ونواهيه يطلب الهدى منه ويفهم على ضوئه نواميس الكون والحياة.

وقد قدمنا في موضوعنا السابق نماذج من البحث في التربية الايمانية في القرآن الكريم، ومن أبرزه «كيف حرر القرآن الإنسان من الخوف والرجاء من غير الله»، وأبعد عنه كل الشواغل التي تحد من إقباله على الله بأذن صاغية، وعين باصرة، وعقل فاقه، وقلب صاف.

بعد هذا جاءت المناسبة للحديث عن المناهج القرآنية التي رسخها القرآن في التربية الايمانية الروحية، التي لم تخل منها سورة من سور القران الكريم ونتحدث -هنا- عنها على الوجوه الآتية: أولاً: الدعوة إلى التأمل في ملكوت الله: وإذا تأملنا هذا المنهج وجدناه نوعين كبيرين:

(أ) مشاهد قصيرة نوعًا ما. (ب) مشاهد طويلة نوعًا ما. ومن المشاهد القصيرة نوعًا ما، المشاهد الآتية: (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) (سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١).

هذا مشهد قصير في كلماته طويل في مغزاه، يقرر الله فيه آيات وأمارات دالة على عظمة الله وقدرته هي:

(١) خلق السموات والأرض.

(٢) اختلاف الليل والنهار. وهي آيات يؤدي التأمل فيها إلى تجلية عناصر الايمان بالله وبعظم قدره. فالسموات قائمة محكمة رفعها الله بغير أعمدة تمسكها القدرة الإلهية الفائقة. (ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) (الرعد: ٢). (لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (غافر: ٥٧).

في السموات آيات داعية لا لمجرد الايمان بالله فحسب، بل تستقطب كل مشاعره نحو الله عز وجل، واذا أردنا الاختصار قلنا في السموات معجزتان إيمانيتان:

١- إحكام الصنع.

٢- رفعها بلا روافع مادية. أما الأرض، ونحن ملاصقون لها نعرف الكثير من أسرارها، فقد أشار الله الى بعض ما فيها من آيات ناطقات بالحق. كما قال عز وجل:

(وفي الأرض آيات للموقنين) (الذاريات: ٢٠).

والأرض مهد للراحة والأمن كمهد الطفل الذي يعده له أبواه في أول عهده بالحياة: (الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) (طه: ٥٣). والأرض واحة خضراء فيها للروح متعة وللجسم غذاء مختلف الحجوم والطعوم والألوان: (والأرض وضعها للأنام ⑩ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ⑪ والحب ذو العصف والريحان ⑫ فبأي آلاء ربكما تكذبان) (الرحمن: ١٠-١٣). بيد أن آية واحدة أخرى فيها لفت قوي للتربية الإيمانية الروحية في القرآن هي قوله تعالى: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (الرعد: ٤).

هذا دليل واقعي عملي من دلائل التربية الإيمانية الروحية، أو هو غذاء رفيع القيمة في مجال التربية الإيمانية الروحية؛ لأن المشهد الذي تعرضه الآية مشهد حيوي مادي محسوس؛ حيث تزرع بعض الأشجار والنباتات في بقاع متجاورة من الأرض، وطبيعة الأرض واحدة والماء الذي يرويها طبيعته واحدة، فكان من الحري أن يكون نباتها ذا شكل واحد في ذاته وفي ثماره؛ فمن الذي جعل لكل نوع من الأشجار والزروع والنباتات ذوات أشكال وألوان وأطوال مختلفة، ومن الذي ميز ثمارها بما هو عليه من حجم أو لون أو طعم؟ إنه الله عز وجل الذي يخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

هذا بعض ما يسفر عنه التأمل في خلق السماوات والأرض لكل ذي عقل سليم.

أما اختلاف الليل والنهار، فكان المتبادر منه إلى الذهن وقت نزول القرآن في عصر النبوة هو الآتي:

(١) الإظلام والإضاءة.
(٢) السكون والحركة.
(٣) التفاوت في الطول والقصر بالتدريج، فيما عدا يومين في العام الواحد يتساويان فيه فيما عرف (بالاعتدالين). وكان هذا كافيًا في ترشيح الاختلاف بين الليل والنهار عنصرًا حيويًا ترتكز عليه التربية الإيمانية الروحية في كون الله الفسيح، وأن التأمل فيهما يسلم القلوب والعقول لإيمان راسخ رسوخ الجبال، لمن ألقى السمع وهو شهيد، أو قيام الحجة لله على من أعرض وعاند.

ويتابع القرآن آيتي الليل والنهار في معارض زاخرة بالعبرة والاتعاظ: فالسكون الليلي ليس مجرد سكون، بل هو لتجديد النشاط ليواصل الإنسان بعد الراحة التي نالها ليلاً سعيه الدؤوب نهارًا لتعمير الأرض، واستثمار الطاقات المطمورة في بطونها يقول القرآن الكريم: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (القصص: ٧٣). وقبل هذه الآية مباشرة يمهد القرآن لها بآيتين حافلتين ببراهين التربية الإيمانية الروحية، ويضع الإنسان أمام حجج قاهرة للباطل مهما كان أنصاره: (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ⑰ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) (القصص: ٧١، ٧٢).

لقد وضع القرآن بهاتين الآيتين الإنسان أمام ضعفه، وقرره بعجزه أمام قدرة الله التي لا تعجز عن شيء. وسد أمامه طرق المراوغة ليحل في عقله وقلبه الإيمان رضي أم كره، ولكل منهما ثمن وجزاء عند الله يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وفي العصر الحديث تكشفت للناس أسرار علمية مذهلة، حيث عرفت الأسباب الإلهية في تكوين ظاهرتي الليل والنهار، واعتبرت هذه الاكتشافات نجاحا عظيما للازدهار العلمي المعاصر، ولم يدر أحد أن القرآن سبق إلى الإشارة إليها قبل أكثر من عشرة قرون.

حيث أثبت القرآن في عبارات زكية أن الأرض التي كان يراها الناس جامدة ثابتة لا تتحرك، أثبت أن لها حركة سريعة حول نفسها ينتج عنها الليل والنهار، وحركة بطيئة حول الشمس ينتج عنها الفصول الأربعة: الصيف، والربيع والخريف والشتاء، لا أن الشمس هي التي تتحرك فيحدث الليل والنهار قال تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (النمل: ٨٨). ليست هذه الآية تصويرًا لحالة الجبال يوم القيامة وإن وردت في سياق الحديث عنه؛ لأن الجبال ستُنسف في ذلك اليوم قبل القيام من القبور (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) (طه: ١٠٥-١٠٧).

والكاشف عن حركة الأرض السريعة في هذه الآية هو التشبيه في: (وهي تمر مر السحاب) حيث شبه حركة الجبال بحركة السحاب. ووجه الشبه في هذا التشبيه أمران: الأول: السرعة. والثاني: إن حركة السحاب ليست ذاتية؛ لأن الذي يحرك السحاب هو الرياح. فدل ذلك على أن حركة الجبال ليست ذاتية، وانما هي ناتجة عن حركة الجسم الذي يحملها، وهو الأرض فتأمل هذه اللمحة البيانية المعجزة. هذا دليل قرآني قطعي الدلالة على أن الأرض هي التي تتحرك.

ودليل قرآني ثان على حركة الأرض ذكره الله تعالى في كتابه العزيز: (وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ) (النحل: ١٥). (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ) (الأنبياء: ٣١). (وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ) (لقمان: ١٠).

الشاهد في هذه الآيات الثلاث التزام القرآن بكلمة (تميد) دون غيرها؛ لأنه لا يصلح للدلالة على المعنى المراد في الآيات الثلاث إلا هذا الفعل (تميد)، ومعناه تضطرب في غير نظام. إن في التزام القرآن التعبير بـ(تميد) دلالة قطعية على أن الأرض متحركة وإن لم يشعر مَن فوقها بحركتها. فما وجه هذه الدلالة يا ترى؟

وجه الدلالة أن "تميد" معناها تضطرب، وقد أجمع العلماء على أن الاضطراب لا يُوصف به إلا الجسم المتحرك، فهو ناتج عن حركة أولية في الجسم، ومُحال أن يضطرب جسم قارّ في مكانه خالٍ من الحركة؛ فالسيارات وهي متوقفة، عن الحركة مُحال أن تضطرب فإذا تحركت أصبحت محلاً للاضطراب إذا توفرت له أسبابه الخارجية، وكثيرًا ما تسير سيرًا مضطربًا أو منتظمًا إذا لم يعترها خلل في المحرك أو في غيره، وانتفاء الاضطراب يستلزم وجود الحركة المنتظمة. أما الاضطراب فيستلزم حركة منتظمة سابقة عليه قبل أن يحدث هو.

لذلك نفى القرآن في الآيات الثلاث حدوث اضطراب في حركة الأرض؛ لأن حركتها محكمة منتظمة في غاية الإتقان والانتظام، لدرجة أن أحدًا لا يشعر بها. لذلك عقب الله على هذه المعجزة، بقوله: (صنع الله الذي أتقن كل شيء)؛ ولعلك أدركت أن الله لم يقل: أن تتحرك بكم؛ لأنها متحركة فلا يصح نفي حركتها، وهذا فيه إعجازان:

(١) لغوي في اختيار كلمة (تميد).

(٢) وعلمي في سبق العلم الحديث في معرفة حركة الأرض بعد أكثر من عشرة قرون من نزول القرآن وإثباته حركة منتظمة للأرض.

فانظر هذه الإيماءات القرآنية في التربية الإيمانية الروحية، القاهرة لكل الثقافات المتمردة المعادية للإيمان. إن هذه المعجزات تقذف الإيمان قذفًا في القلوب وتقهر أنصار الباطل وتفحمهم بالحق الذي يكاد يرى- رأي العين- إشعاعات التراكيب.

وللموضوع بقية إن شاء الله.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

اتباع القرآن نجاة في الآخرة

قال الله تعالى: «وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» (الزمر: ٥٥).

من أقوال السلف

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "الاتباع أن يتَّبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه، ثم هو من بعد التابعين مخيَّر" (مسائل الإمام أحمد)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «من دعا إلى هدَى؛ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا. ومن دعا إلى ضلالة؛ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» (صحيح مسلم).

حكم ومواعظ

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يُقال لي: قد علمت، فماذا عملت فيما علمتَ. (سنن البيهقي).

من دلائل النبوة

الرسول يخبر بالفتوحات قبل وقوعها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله" (رواه مسلم).

إعداد : علاء خضر

من حكمة الشعر

قال الشاعر في أعداء الإنسان:

إني بُليت بأربع يرمينني
بالنَّبل عن قوس لها توتير
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
يا رب أنت على الخلاص قدير

من معاني الأحاديث

نهى عن كسب الزمارة، هي الزانية. وقيل هي بتقديم الراء على الزاي، من الرمز، وهي الإشارة بالعين أو الحاجب أو الشفه. (النهاية لابن الأثير).

من أخطاء المصلين

ترك بعض المصلين رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام والركوع وعند الرفع منه، والسنة الصحيحة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم أنه إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذو منكبيه، وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما أيضًا، وأي حديث في ترك الرفع لا يصح.

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: "أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌ ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن كل طارق إلا طارق يطرق بخير، يا رحمن".
(السلسلة الصحيحة).

من فضائل الصحابة

الشيطان يهرب من عمر رضي الله عنه ويخالف طريقه

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إيهًا يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك. (رواه البخاري) والفج: الطريق.

حجاب المرأة المسلمة

إعداد: د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فسوف نستكمل الحديث عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد وصلت إلى خاتمة البحث، وبدأت في تلخيص ما توصلت إليه.

أولًا: أدلة القرآن:

وصلت إلى الدليل الخامس: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (الأحزاب: ٥٩).

الاستدلال في الآية: (يدنين عليهن من جلابيبهن). وقد اختلفت أقوال أهل العلم في معنى الإدناء، وهو ليس دليلًا قطعيًا-بمعنى أنه لا يحتمل إلا معنًى واحدًا- لمن استدل به على أن معناه تغطية الوجه، وكذلك ما يقال في الإدناء يقال في الجلباب. لكن الدليل في الآية قطعي في حجاب المرأة وسترها لجميع جسدها بما لا يظهر شيئًا من مفاتنها.

ثانيًا: أدلة السنة:

١- حديث عائشة رضي الله عنها: كان الركبان يمرون بنا ونحن مُحرمات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها، فإذا جاوزونا كشفناه (مسند أحمد وغيره). وفي رواية: ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الاستدلال من الحديث: إقرار النبي صلى الله عليه وسلم على فعلهن من إسدال الجلباب على وجوههن (على افتراض صحة الحديث؛ إذ إن الحديث في سنده ضعف كما سبق أن بينت ذلك. وله شاهد عن فاطمة بنت المنذر قالت: كنا نخمَر وجوهنا ونحن مُحرمَات مع أسماء بنت أبي بكر. وهو في موطأ مالك وغيره، وصححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي، والألباني في الارواء ح١٠٢٣، والأرناؤوط في المسند ٢٣/٤٠).

وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم يدل على مشروعية ما أقره، لكن يبقى القول هل التقرير يدل على الوجوب أم الاستحباب، وهذا يحتاج إلى قرينة أخرى غير إقراره فقط صلى الله عليه وسلم.

٢- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «المُحْرِمَة تلبس من الثياب ما شَاءت إلا ثوبًا مسَّه ورس أو زعفران، ولا تتبرقع، ولا تتلثم، وتسدل الثوب على وجهها إن شاءت (أخرجه البيهقي في الكبرى ح٩٠٥٠، صححه الألباني، والأرناؤوط في المسند ٢٢/٤٠).

قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إن شاءت، يرد على من استدل من حديث عائشة رضي الله عنها-المذكور قبل ذلك- بوجوب تغطية وجه المرأة

في غير حال الاحرام.

٣- حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ولا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين...» (البخاري وغيره).

الاستدلال من الحديث بمفهوم المخالفة أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء، لذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم المحرمة أن لا تلبسهما. لكن لا يُستفاد من الحديث الوجوب أو عدمه إنما يستفاد منه مشروعية النقاب والقفازين.

٤- حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه لنكاحها فليفعل... (مسند أحمد ح١٤٥٨٦، وقال الأرناؤوط حسن، وحسنه الألباني في المشكاة ح٣١٠٦). هذا الحديث ونظائره من أحاديث النظر إلى المخطوبة الوجه والكفين عند الجمهور- ليست نصًا في وجوب النقاب أو عدم وجوبه، لذا تنازع العلماء في الاستدلال بها.

٥- حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري (صحيح مسلم وغيره). الحديث ليس قطعي الدلالة، لذا تنازع العلماء فيه بين وجوب ستر المرأة لوجهها وبين استحباب ذلك. فصرف البصر ليس مقصورًا على الوجه فقط، بل إلى كل ما يتعلق بالمرأة.

٦- حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال يرخين شبرًا، فقالت: إذا تنكشف أقدامهن (وفى رواية سوقهن) قال فيرخين ذراعًا لا يزدن عليه (صحيح سنن أبي داوود وغيره). الاستدلال من الحديث: قياس الأولى أن الوجه والكفين، أشد فتنة من القدمين، وعدم القياس على رواية الساقين فذلك يؤدي إلى ضعف القياس. والحديث ليس نصًا قطعيًا الدلالة في وجوب تغطية وجه المرأة.

٧- حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها (صحيح سنن الترمذي وغيره).

الاستدلال من الحديث: المرأة كلها عورة فيدخل في ذلك الوجه والكفان، ولا يوجد إجماع بين أهل العلم على أن كل المرأة عورة حتى في داخل الصلاة، فضلاً عن الخلاف في الوجه والكفين، وخروج بعض أفراد العام منه يُضعف عمومه.

٨- حديث أم سلمة رضي الله عنها: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان لإحداكن مُكاتب، فكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه (الترمذي وغيره).

سند الحديث فيه مجهول وهو نبهان مولى أم سلمة، فالراجح ضعف الحديث- كما سبق بيان ذلك- ومن أخذ بتحسينه يرد عليه أن الإجماع على وجوب تغطية الوجه من الأحكام الخاصة بأمهات المؤمنين.

٩- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها" (صحيح البخاري).

الاستدلال من الحديث: احتجاب النساء عن الرجال احتجابًا كاملاً مستدلاً بذلك على وجوب تغطية الوجه. والمباشرة لا تخص الوجه فقط، بل هي أوسع من ذلك.

١٠- عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يُعرفن من الغلس (متفق عليه). وفي رواية: "وما يعرف بعضنا وجوه بعض".

وفي رواية: "ولا يعرفن بعضهن بعضًا".

الاستدلال من الحديث: متلفعات، ما يُعرفن من الغلس. ليس فيه جواز كشف الوجه لمن قال بذلك، لاحتمال أنهن كن يكشفن وجوههن لاستتارهن بظلمة الليل.

١١- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أومأت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده، فقال: ما أدري أيد رجل أم يد امرأة؟ قالت: بل يد امرأة. قال: لو كنت امرأة لغيرت أظفارك، يعنى بالحناء (صحيح سنن أبي داوود وغيره). والحديث في سنده خلاف بين أهل العلم، فمنهم من ضعّفه، وحسّنه الألباني بشواهده في الثمر المستطاب صـ٣١١-٣١٥.

والاستدلال به متنازع فيه لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليها كشف يديها. ولليدين حكم الوجه، وأجيب بأنه يجوز كشف اليدين للضرورة.

١٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال يا سودة، أما والله لا تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين.... الحديث (متفق عليه).

والاستدلال منه فيه نزاع مشهور هل الخطاب لأمهات المؤمنين يشمل جميع النساء أم لا؟

١٣- عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: "يا أسماء! إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه" (أخرجه أبو داوود وغيره)، والحديث فيه نزاع بين أهل العلم، فأكثر أهل العلم على تضعيفه، وهناك من حسّنه بطرقه كالألباني في جلباب المرأة المسلمة صـ٥٨-٥٩ والبيهقي في الكبرى ٢/٣١٩).

١٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد، فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم، فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال.... فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله. وفي رواية: فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه (الخواتيم)، وفي رواية فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين... (البخاري ومسلم).

والاستدلال من الحديث فيه تنازع، هل كان ذلك قبل نزول آيات الحجاب، وهل هذه المرأة كانت من القواعد من النساء أم لا، وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم وجهها أم لا، وكيف رأى ابن عباس وبلال وجابر كما ورد في رواية للحديث رضي الله عنهم وجه المرأة.

١٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال: أن امرأة من خثعم استفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع (يوم النحر)، والفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الفضل رجلا وضيئًا، فأخذ الفضل بن عباس يلتفت إليها وكانت امرأة حسناء (وفى رواية وضيئة): فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حُسنها (وتنظر إليه): فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر (الحديث في الصحيحين وغيرهما)، والاستدلال من الحديث هو أقرب لمن قال بجواز كشف الوجه، لأن هذا كان يوم النحر بعد رمى الجمرات، فهي لم تكن محرمة.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

صلاة المسافر

إعداد: د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد فقد تكلمنا في اللقاء السابق عن المسافة التي يجوز للمسافر القصر، ونبدأ في هذا اللقاء الحديث عن مدة القصر وما هو القول الراجح في ذلك.

مدة القصر في السفر:

نتكلم في هذه المسألة عن حالات ثلاث:

الحالة الأولى وهي التي يكون فيه الإنسان يتنقل من بلدة إلى أخرى، وهذه الحالة لا خلاف فيها بين أهل العلم أن للمسافر أن يقصر الصلاة مهما طالت مدة السفر.

مثال ذلك: رجل يسافر بالسفينة من بلد إلي آخر ويستغرق السفر شهرًا أو أكثر؛ فهذا يجوز له قصر الصلاة حتى وإن زادت المدة عن ذلك. والثابت في السنة النبوية المطهرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُتم الصلاة في أسفاره أبدًا؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة، فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة...... الحديث» رواه البخاري ومسلم.

فالمسافر يقصر ما دام في سفره، ماشيًا كان أو راكب دابة أو مركبة؛ كطائرة أو سفينة أو سيارة، ناله التعب والإعياء أو لم ينله شيء من ذلك، فالعبرة بالسفر.

الحالة الثانية: وهي إذا قدم المسافر إلى بلد لا يدري هل يخرج غدا أو بعد غد في القريب فإنه يقصر مدة إقامته ولو طالت فلو قال: أخرج غدًا أو بعد غد، وهو متردد كأن تكون عنده تجارة أو مصلحة يقصر الصلاة ما شاء الله ولو جلس شهورًا، وهذا مذهب جماهير العلماء، وهذا شبه إجماع بين العلماء رحمهم الله وحكاه الترمذي وابن المنذر إجماعًا. إلا أن الأصح عند الشافعية خلاف ذلك. حدوده في الأصح عندهم بثمانية عشر يومًا، وهو خلاف مذهب عامة أهل العلم.

والراجح مذهب جماهير العلماء؛ لأنه لم ينو إقامة فلا يكون في حكم المقيمين. وأثر عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه صلى ستة أشهر في فتح تستر في غزو الصحابة رضوان الله عليهم في الفتوحات وهو يقصر الصلاة لأنهم محاصرون لتستر فلا يدرون تفتح اليوم أو غدا فهم نازلون، ولكن هذا النزول قد يطرأ في أي طارئ يخرجون منه؛ حمل عليه دليل هذا الأصل أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بتبوك يقصر الصلاة، وتبوك كانت أيام النبي صلى الله عليه وسلم ماء يرده المسافرون لم تكن مدينة، فكانت مورد ماء فنزل عليه-عليه الصلاة والسلام- بالجيش وأرسل العيون على بني الأصفر الذي هم الروم لكي يأتوه بالأخبار، هل هناك جيش أو لا؟ فهذه العيون التي أرسلها لا يدري عليه الصلاة والسلام هل تأتي غدًا؟ هل تأتي بعد غد؟ يعني أرسلهم من أجل أن

يستجلوا حقيقة الأمر، فالقول بأنه يعلم أنهم سيمكثون أكثر من أربعة أيام مكابرة، هو لا يعلم قد يأتي بعد ساعة يقول له الروم بحذائك أو بجوارك، وهو لا يعلم الغيب صلوات الله وسلامه عليه إلا ما أطلعه الله عز وجل عليه.

فالشاهد من هذا أنه لا يشك أحد أنه لا يعلم مدة جلوسه على تبوك، فصار يقصر الصلاة وهو جالس حتى استتم هذه المدة. فهذه السنة عند خفاء المدة، وهي أصل قضية صلاته بتبوك. (انظر: دروس عمدة الفقه للشنقيطي، شرح الزاد للحمد).

الحالة الثالثة وهي إذا نزل المسافر على المدينة أو القرية وهو يعلم مدة نزوله، أو طالب يريد أن يدرس في موضع شهورًا ثم يرجع. وهذه الحالة اختلف فيها أهل العلم اختلافًا كبيرًا، ذكر منها ابن عبد البر عشرة أقوال في المسألة أشهرها: (مذهب مالك والشافعي والليث والطبري وأبو ثور إذا نوى إقامة أربعة أيام أتم. مذهب أحمد بن حنبل إذا أجمع المسافر مقام إحدى وعشرين صلاة مكتوبة قصر، وإن زاد على ذلك أتم. مذهب أبي حنيفة وأصحابه والثوري إذا نوى إقامة خمس عشرة يومًا أتم، وإن كان أقل قصر. مذهب إسحاق بن راهويه إلى أنها تسعة عشر يومًا، مذهب أهل الظاهر أنها عشرون يومًا، مذهب شيخ الإسلام وهو مذهب طائفة من أهل العلم إلى أن مرجع ذلك إلى العرف) (انظر: التمهيد لابن عبد البر ١٨٢/١١ بتصرف).

ثم قال ابن عبد البر بعد أن ذكر الأقوال في المسألة: فهذه تسعة أقوال في هذه المسألة، وفيها قول عاشر أن المسافر يقصر أبدًا حتى يرجع إلى وطنه أو ينزل وطنًا له (التمهيد ١٨٣/١١).

أولًا: مذهب الإمام مالك والشافعي ومن وافقهم: أقل مدة الاقامة أربعة أيام صحاح مع وجوب عشرين صلاة في مدة الإقامة، ولا يحتسب من الأيام يوم الدخول إن دخل بعد طلوع الفجر، ولا يوم الخروج إن خرج في أثنائه. فلو دخل زوال السبت ليخرج زوال الأربعاء أتم، وقبله قصر، فإن دخل ليلاً لم تحسب بقية الليلة ويحسب الغد، ولا بد من اجتماع الأمرين: الأربعة الأيام والعشرين صلاة. (انظر: الدسوقي على الشرح الكبير ٣٦٤/١، مغني المحتاج للشربيني ٢٦٢/١).

واستدلوا: بما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك قال: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة في رواية لمسلم " إلى الحج " فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة). وبحديث جابر: (أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة صبيحة رابعة من ذي الحجة فأقام بها الرابع والخامس والسادس والسابع وصلى الصبح في اليوم الثامن ثم خرج إلى منى وخرج من مكة متوجها إلى المدينة بعد أيام التشريق)، ومعنى ذلك كله في الصحيحين وغيرهما قالوا: والثابت عنه في سياق حجته أنه دخل مكة في صبيحة اليوم الرابع، وأنه خرج منها إلى منى في ضحى اليوم الثامن فهذه أربعة أيام.

قالوا: فعلى ذلك يقصر إن أقام أربعة أيام فإن زاد أتم.

واستدلوا بما ثبت في الصحيحين من حديث: العلاء الحضرمي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقيم المهاجر بعد نسكه ثلاثًا؛ أي ثلاثة أيام).

فالسنة بينت أن ما دون الأربع لا يقطع السفر، ودليل على وضع الأربعة الأيام فاصلاً بين الإتمام والقصر فالنبي صلى الله عليه وسلم رخص للمهاجرين أن يبقوا بمكة ثلاثة أيام. والمهاجر في حكم الشرع إذا ترك بلدًا لا يجوز له أن يرجع فيقيم فيها؛ لأنه ترك شيئًا لله فلا يرجع فيما تركه لله؛

ولذلك الصحابة ما سكنوا مكة ولا أقاموا بها بعد هجرتهم، فلما توفي سعد بن خولة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (لكن البائس سعد بن خولة، يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة لأنه مهاجر)، ثم قال عليه الصلاة والسلام: (اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم ولا تردَهم على أعقابهم خاسرين)، فرثى له أن فاته الأجل، فدل على أن الأصل أن لا يبقى في المكان الذي هاجر منه، هذا ما دلت عليه السنة على أنه لا يبقى ولا يقيم في المكان الذي هو فيه إذا ثبت هذا فمعنى ذلك لما رخص له في الثلاثة الأيام، ولم يرخص له في اليوم الرابع: فهمنا من هذه السنة أنهم في اليوم الرابع يكونون في حكم من أقام؛ ولذلك الشرع قد يأتي بالشيء صريحًا، وقد يأتي به ضمنًا، فلما جعل الأربعة الأيام فاصلاً بين أن يقيم وبين أن لا يقيم وما دونها ليس بإقامة وإذا وصل إليها فهو مقيم رخص للمهاجرين ثلاثة أيام: دل على أنه في اليوم الرابع يكونون في حكم المقيم، فأخذ من هذا طائفة من أهل العلم رحمهم الله أن الأربعة الأيام غير يوم الدخول والخروج تكون تامة فاصل بين الإقامة وعدمها. (انظر دروس عمدة الفقه للشنقيطي).

وأجيب عن هذا: بأن الثلاث قدر قضاء الحوائج؛ لا لكونها غير إقامة (نيل الأوطار للشوكاني ٣/ ٢٥٥)؟

مذهب الإمام أحمد: إذا نوى الإقامة في بلد أكثر من إحدى وعشرين صلاة أتم وإلا قصر، قال في الكافي هي المذهب، وقال في المغني هذا المشهور عن أحمد (انظر الإنصاف للمرداوي ٢/ ٣٢٩)، وعنه لو نوى إقامة أكثر من عشرين صلاة أتم وهذه الرواية هي المذهب لحديث جابر وابن عباس رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة صبيحة رابعة ذي الحجة، فأقام بها الرابع والخامس والسادس والسابع، وصلى الصبح في اليوم الثاني، ثم خرج إلى منى، وكان يقصر الصلاة في هذه الأيام، وقد عزم على إقامتها حديث جابر وابن عباس "أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة".

حديث ابن عباس أخرجه البخاري وحديث جابر أخرجه مسلم وفيها قدوم النبي صلى الله عليه وسلم رابعة ذي الحجة.

قالوا: والثابت عنه في سياق حجته أنه دخل مكة في صبيحة اليوم الرابع وأنه خرج منها إلى منى في ضحى اليوم الثامن فهذه أربعة أيام. قالوا: فعلى ذلك يقصر إن أقام أربعة أيام فإن زاد أتم. (انظر: كشاف القناع ١ / ٣٣٠).

مذهب الإمام أبو حنيفة ومن وافقه: أن المسافر يتم صلاته إذا عزم على إقامة خمسة عشر يومًا، واحتج بقول ابن عباس وابن عمر أنهما قالا: إذا أقمتَ ببلدٍ وأنت مسافرٌ وفي نفسك أنْ تقيم خمسة عشر يومًا فأكمل الصلاة.

قال الكاساني: وهذا باب لا يوصل إليه بالاجتهاد؛ لأنه من جملة المقادير، ولا يظن بهما التكلم جزافًا، فالظاهر أنهما قالاه سماعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. (بدائع الصنائع ١ / ٩٧).

وأجيب عن هذا: بأنه لا حجة في أقوال الصحابة في المسائل التي للاجتهاد فيها مسرح، وهذه منها، ولم يستدل الحنفية بالنصوص الشرعية، وهي متوافرة في مسألتنا هذه، مع ملاحظة أنه قد روي عن الصحابة آراء متعددة مختلفة في هذه المسألة. (انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٣ / ٢٥٥، الجامع لأحكام الصلاة ٢/ ٤٨٥).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

شهر جمادى الآخرة أحداث وتأريخ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين. وبعد: فإن شهر جمادى الآخرة كغيره من الأشهر القمرية حافل بعظيم الوقائع والأحداث التي مكنت لدين الله عز وجل، ولكثرتها عبر التاريخ أزف منها للسالكين ما يلي:

إعداد **أحمد عز الدين محمد**

أولا: سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه في جماد الآخرة سنة ٣هـ

وهي أول سرية خرج فيها أميرًا إلى ثنية القردة من أرض نجد بين الربذة وذات عرق، وفيها أن هذه السرية هي آخر وأنجح دورية قط قام بها المسلمون قبل أُحد، وقد اختارت قريش صفوان ابن أمية لقيادة عير تجارتها هذا العام، وقال لهم: إن محمدًا وأصحابه تمردوا علينا متجرنا فما ندري كيف نصنع بهم؟ وهم لا يبرحون الساحل ولا ندري أين نسلك؟ وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يعد لها بقاء فحياتنا بمكة على التجارة، فقال له الأسود بن عبد المطلب: تنكب طريق الساحل وخذ طريق العراق، وهي طريق طويلة جدًا تخترق نجد إلى الشام، وتمر على بُعد كبير شرق المدينة.

وأشار على صفوان أن يتخذ فرات بن حيان من بني بكر بن وائل دليلًا له. وخرجت العير يقودها صفوان إلا أن خبرها وخطة سيرها طارت إلى المدينة، وذلكم أن سليط بن النعمان كان قد أسلم لوقته فورًا سرية قوامها مائة راكب بقياد زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه، وأسرع زيد حتى دهم العير على حين غرة وهي على ماء بأرض نجد يقال له قردة، فغنمها كلها، ولم يكن من صفوان ومن معه إلا الفرار دون أي مقاومة، وأسر المسلمون فرات بن حيان دليلهم ومعه رجلين، وحملوا غنيمة كبيرة من الأواني والفضة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسلم فرات بن حيان بين يديه، وهذه الضربة مأساة كبيرة ونكسة شديدة أصابت قريشا بعد بدر.

ثانيا: سرية زيد بن حارثة في جماد الثاني سنة ٦ هـ، إلى الطرف.

وفيها خرج زيد رضي الله عنه في خمسة عشر رجلًا من المسلمين بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني ثعلبة فهربت ومن معهم من الأعراب إلى شعاب الجبال وخافوا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم سار إليهم فأصاب من نعمهم عشرين بعيرًا، وغاب أربع ليال ثم عاد المدينة ولم يلق كيدًا.

ثالثا: سرية ذات السلاسل في جماد الآخر سنة ٨هـ، على أثر معركة مؤتة.

وفيها: أنه قد جاءت استخبارات نقلت إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعًا من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا من أطراف المدينة والإغارة عليها وكانت جموع من القبائل العربية التي تقطن مشارف الشام قد توحدت مع الرومان ضد المسلمين في مؤتة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بحكمته البالغة أن يفرق بين هذه الجموع، بل والعمل على دخول القبائل العربية في الإسلام، ولا تتحد مع الرومان، مرة أخرى اختار النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لتنفيذ ذلك الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي أسلم في شهر صفر من نفس العام. وذلك لأن أم أبيه كانت امرأة من بلي، وعقد لعمرو بن العاص لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرسًا وأمره أن يستعين بمن مر به من بلي وعذرة وبلقين وغيرها من قبائل قضاعة، فسار الليل وكمن النهار فلما قرب من قضاعة بلغه أن لهم جمعًا كثيرًا. فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده.

فبعث إليه أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه في مائتين من سراة المهاجرين، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعًا ولا يختلفا. فلما لحق به أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس. فقال عمرو: إنما قدمت عليّ مددا، وأنا الأمير فأطاعه أبو عبيدة فكان عمرو يصلي بالناس واجتمعت الأمرة له رضي الله عنهم أجمعين، ثم سار عمرو حتى وطئ بلاد وقبائل قضاعة، فدوخها حتى أقصى بلادهم، وحمل المسلمون عليهم فهربوا وتفرقوا، وبعث عمرو عوف بن مالك الأشجعي بالبشرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بسلامتهم وما كان من غزاتهم رضي الله عنهم أجمعين، ودخل كثير من الناس في دين الله.

رابعا: وفاة الصّدّيق وتولية عمر رضي الله عنهما في جمادى الآخرة لثمان بقين منه سنة ١٣ هـ.

دُفِنَ الصّدّيق رضي الله عنه في تلك الليلة بعد مرض خمس عشر يومًا، وكان عمر رضي الله عنه يصلي عنه فيها بالناس، وفي أثناء مرضه عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب. وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا.

وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وكان عمره ثلاثًا وستين سنة، السن الذي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد جمع الله بينهما في التربة كما جمع سبحانه بينهما في الحياة، وسيرته وأيامه. وما روى وروي عنه من أحاديث ومن أحكام وعلم سادت به أمة الإسلام يحتاج إلى دواوين ومجلدات رضي الله عنه.

ولما تولى عمر رضي الله عنه قام بالأمر من بعده أتم قيام، وهو أول من سمى بأمير المؤمنين وكان أول من حيّاه بذلك المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وقيل غيره، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما سادة هذه الأمة بعد نبيها.

خامسا: وفاة الرشيد هارون بن المهدي في جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ

وكان عمره خمسة وأربعين سنة ٤٥ سنة، وقد عاش حياة حافلة بالغزو والجهاد في سبيل الله ونصرة دينه الله عز وجل. قال الجاحظ: «كانت أيام الرشيد كلها خير كأنها من حسنها أعراس». وكان محبًا للعلم والعلماء، وكان كثير الحج وكثرة في عهده الفتوحات، ففتحت في عهده دبسة وصقلية ومقدونية، وحصن الصفصاف، وقبرص، وبث جيوشه في أرض الروم وكان مؤدبًا لهم، وقيل في موته:

غربت في الشرق شمس
فلها الصيفان تدمع

ما رأينا قط شمس
غربت من حيث تطلع

رحمه الله تعالى ودفن بطوس ودعا الله اللهم اغفر لنا الزلات والسيئات، يا من لا يموت ارحم من يموت. وله تراجم لا تعد ولا تحصى فهي جمة ومفيدة للدارسين. وفي هذا القدر كفاية.

هذا، وصلى الله وسلم على محمدًا وآله وصحبه وسلم.

والله من وراء القصد.

من روائع الماضي

كلمات فى المنهج (١)

لفضيلة الشيخ صفوت الشوادي رحمه الله

إعداد اللجنة العلمية بالمجلة

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد؛

فإنه من تفضل الله علينا في دين الإسلام الذي هو الدين الحق المرتضى من رب الأنام؛ إذ قال تعالى: (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ) (آل عمران:١٩) بالقصر والحصر فلا يقبل غيره ديانة ولا يرتضى دونه عقيدة (وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ) (آل عمران:٨٥)؛ لذا كان من تفضله علينا أن أتم الله لنا هذا الدين، ثم كان من تمامه أن قيّض لنا من أسلافنا الطيبين المجاهدين من القدامى منهم والمحدثين قيّضهم وأيّدهم ليبينوا لنا الصحيح والسقيم والطريق المستقيم، لا سيما في هذه الأزمنة المتأخرة التي استشرى فيها مرض الجرأة على الدين بل والتنكر أحيانًا لهدي ومنهج خاتم النبيين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم-ولا أقول بل والكفر برب العالمين، فليس موضوعنا في هذه الكلمات تخصيص الكلام عن الكفر والإيمان، فهذا يكون بحثه في أبواب العقيدة ييسرها الله تعالى قريبًا إن شاء على صفحات مجلتنا-، لذا كان مناسبًا أن نعيد النشر مذكرين بما كتبه بعض مشايخنا الطيبين مما يخدم دعوة الإسلام فيمن تنكر لسنة أو منهج أو ضاع منه صحيح الدين في هذا الزحام، كان مناسبًا أن ننشر هذه الكلمات على حلقات بما لا يورث طولاً مملاً أو قصرًا مُخلاً مراعين في ذلك المحافظة على العبارة المخلصة من أسلافنا رحمهم الله، فلا يكون لنا تدخل إلا لضرورة المراجعة بما يناسب واقعنا، ولا أظننا نلجأ لهذه الضرورة إذ في كتابات مشايخنا غنية وحكمة وكفاية؛ فكانت هذه الحلقة الأولى؛

كلمات في المنهج (١)

فضيلة الشيخ صفوت الشوادي رحمه الله

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن الدين الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل الله من خصائصه الكمال والبقاء بحفظ الله له، وأنه صالح لكل زمان ومكان.

وإن المؤمن الصادق في إيمانه ينبغي عليه أن يعلم خصائص وحقائق هذا الدين حتى لا يضل أو يُضل.

وخذ لذلك مثلاً: إن كثيرًا من المسلمين اليوم

يصدقون كل ما يسمعون!! وقد يكون باطلاً أو ضلالاً.

وينقلون كل ما يسمعون!! دون تثبت أو تبين كما أمر الله، كما أن بعض المسلمين يأخذ أحكام الشريعة ويتعلم مسائل الدين من الصحف والمجلات الخليعة!! بدلاً من أخذه من العلماء، وكتب العلوم الشرعية الصحيحة، وهذا خلل واضح في المنهج.

وقبل معالجة الخلل، وتصحيح الخطأ فإن المسلم يحتاج أولاً أن يتعلم قواعد الإسلام وأصول الشريعة، وأولى الناس بهذا: دعاة وخطباء أنصار السنة؛ فهم أحوج شيء إلى معرفة المنهج والوقوف على القواعد والأصول.

وقد وضع علماء الأمة هذه القواعد التي تدور عليها أحكام الدين ومسائله بصورة سهلة يسيرة؛ ومن أهمها:

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم

لقوله تعالى: «قُلْ إنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ»، إلى قوله: «وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (الأعراف:٣٣)، ولقوله: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (الإسراء:٣٦).

والقول على الله بلا علم يعني الكلام في الدين وأحكامه ومسائله بغير علم، وهذه كبيرة من أكبر الكبائر!! ومع ذلك فإنك ترى كثيرًا من الناس قد ارتكبوا هذه الكبيرة وهم لا يشعرون، بل إن بعضهم يتقرب إلى الله بها، ولا يدري ما وراءها!!

والجرأة على الفتيا- كما قال ابن القيم رحمه الله- تكون من قلة العلم ومن غزارته وسعته!! فمن قل علمه- وهم كثير- أفتى في كل ما يسأل عنه بغير علم، وخذ لذلك مثلاً مضحكًا: الإفتاء في الطلاق؛ يقوم به العلماء، وهو من المسائل الشائكة، ويشاركهم في الإفتاء: المأذون وإن لم يكن عالمًا، وأئمة المساجد عالمهم وجاهلهم على سواء، والمؤذن، ومقيم الشعائر، والعوام وكل من حضر المجلس!!

وأحيانًا يقوم الآباء بالإفتاء، حرصًا على مصلحة الأبناء! وفي حالات كثيرة تسمع من يقول: ذهبت إلى شيخ أسأله عن الطلاق، فردَ لي ديني؟! فأصبح الطلاق عندهم كفرًا وفاعله مرتد!! ودينه يحتاج إلى رد! وهذا الباطل والمنكر من القول يرجع إلى القول على الله بغير علم.

وقد حذّر علماء الأمة من ذلك تحذيرًا شديدًا؛ قال حذيفة، رضي الله عنه: «إنما يفتي الناس ثلاثة: من يعلم ما نسخ من القرآن، أو أمير لا يجد بدًا، أو أحمق متكلف».

وقال سحنون بن سعيد: «أجسر الناس على الفتيا أقلهم علمًا يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أن الحق كله فيه».

وقد كان الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، مع غزارة علمه يتوقف أحيانًا في الفتوى؛ لتعارض الأدلة عنده، أو لاختلاف الصحابة فيها، أو لعدم اطلاعه فيها على أثر أو قول أحد من الصحابة والتابعين!!

وكان شديد الكراهة والمنع للإفتاء بمسألة ليس فيها أثر عن السلف، كما قال لبعض أصحابه: «إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام».

وكان ابن عمر، رضي الله عنهما، يقول: «العلم ثلاث: كتاب الله الناطق، وسنة ماضية، ولا أدري»!!

ومن أراد المزيد في هذا فليراجع «إعلام الموقعين عن رب العالمين» الجزء الأول لابن القيم، رحمه الله.

وللحديث صلة إن شاء الله.

«فجعلناهم مثلا وسلفًا للآخرين»

إعداد **الشيخ مصطفى البصراتي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتكلم عن مثل آخر من الأمثال في القرآن وهو في سورة الزخرف وهو في الآيتين (٥٥-٥٦)؛ وهما قول الله تعالى: «فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ» (الزخرف: ٥٥-٥٦).

المعنى الإجمالي

هذا مثل ضربه الله لفرعون وقومه حينما تمادوا في الضلال والعناد وما اجترحوه من تكذيب نبي الله موسى عليه السلام وعدم طاعته، وما ادَعاه فرعون من الربوبية واستخفافه بقومه، وقد استخف بقوم وقهرهم حتى اتبعوه.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في «أيسر التفاسير» قوله تعالى: «فلمّا آسَفونا» أي أغضبونا بنكثهم وكفرهم وكبريائهم وظلمهم أغرقناهم أجمعين، أي فلم نبْق منهم أحدًا والمراد فرعون وجنوده.

«فجَعلناهُمْ سلفًا ومَثلاً للآخرينَ» أي جعلنا فرعون، ومن أغرقنا معه من ملئه وجيوشه سلفًا أي سابقين؛ ليكونوا عبرة لمن بعدهم ومثلاً يتمثل به من بعدهم فلا يقدموا على ما أقدموا عليه من الكفر والظلم والعلو والفساد وأولى مَن يعتبر بهذا قريش التي نزل لينبهها ويحرك كامن نفسها لتنتبه من غفلتها فتؤمن وتوحد فتنجو وتكمل وتسعد.

معاني المفردات:

«فلَمّا آسَفونَا» أي أغضبونا، قاله المفسرون، والأسف الغضب وقيل: أشد الغضب، وقيل السخط وقيل: أغضبوا رسلنا.

«انتقمْنا منْهمْ فأغْرقَناهُمْ أجْمعين» ثم بين العذاب الذي وقع به الانتقام فقال: «فأغرَقْنَاهُمْ أجْمعَين» أي في البحر وإنما هلكوا بالغرق ليكون هلاكهم بما تعزز به وهو الماء في قوله «وهَـذه الأنْهَارُ تجري من تحَتي» ففيه إشارة إلى أنَ من تعزز بشيء دون الله أهلكه الله به.

«فجَعلْنَاهُمْ سلفَا» أي قدوة لمن عمل بعملهم من الكفار في استحقاق العذاب ككفار قومك.

«ومثلاً للآخرينَ» عبرة وتذكرة ومثلا يتمثل به من بعدهم فلا يقدموا على ما أقدموا عليه من الكفر والظلم والعلو والفساد. وأولى من يعتبر بهذا قريش.

المعنى التفصيلي:

قوله تعالى: «فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ».

عقب ما مضى من القصة بالمقصود، وهو هذه الأمور الثلاثة المترتبة المتفرع بعضها على بعض، وهي: الانتقام، فالإغراق، فالاعتبار بهم في الأمم بعدهم.

«فلَمّا آسَفونا» أي أغضبونا والغضب من صفات الله جل وعلا الفعلية؛ فالله جل وعلا- يغضب على الكفار ويغضب على بعض أهل الكبائر؛ لأنه سبحانه يغار على حرماته فيغضب إذا انتهكت حرماته «وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

وَلَعَنَهُ» (النساء: ٩٣). غضب الله عليه بسبب جريمة القتل للمؤمن عمدًا وعدوانًا. فالغضب من صفات الله جل وعلا، فالله يغضب والمخلوق يغضب، ولكن ليس غضب الله جل وعلا كغضب المخلوق لما بين الخالق والمخلوق من الفرق العظيم، فلا تشابه بين غضب الله وغضب المخلوق، وان اشتركت هذه الصفة في اللفظ والمعنى، لكنها لا تشترك في الكيفية والحقيقة كسائر الصفات. (شرح لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين).

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات.

ولا يقال: إن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفي للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويبغضه، ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده فقد يحب عندهم، ويرضى ما لا يريده، ويكره ويسخط ويغضب لما أراده. ويقال لمن تأول الغضب والرضا بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟ فلا بد أن يقول: لأن الغضب غليان دم القلب، والرضا الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى فيقال له: غليان دم القلب في الأدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب، لا أنه هو الغضب. (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٦٨٥/٢) بتصرف).

وقال ابن عرفة: الغضب من المخلوقين شيء يداخل قلوبهم، ومنه محمود ومذموم، فالمذموم ما كان في غير الحق، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق، وأما غضب الله تعالى فهو من صفات الأفعال لله عز وجل، حقيقة على ما يليق بجلاله. (نضره النعيم ٥٠٧٦/١١).

والغضب صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف من أهل السنة والجماعة، وهو غضب حقيقي يليق بالله تعالى، ويجب أن نؤمن بهذه الصفة ونثبتها لله تعالى؛ وذلك لأن الله تعالى أثبتها لنفسه، وأثبتها له نبيه صلى الله عليه وسلم، وأجمع سلف هذه الأمة الصالح على إثباتها لله تعالى؛ وذلك على ما يليق بالله وعظمته، وأنه غضب ليس كغضب المخلوقين، فتعالى الله عن مشابهة خلقه. ولكن نثبتها لله تعالى ونقرها ونمرها من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل، ونؤمن بها في إطار قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى:١١).

ومن أدلة ثبوت صفة الغضب لله تعالى من الكتاب ما يلي:

قال تعالى: «وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ» (النساء: ٩٣).

وقوله تعالى: «وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ» (طه: ٨١).

وأما الأدلة من السنة المطهرة على ثبوت صفة الغضب لله تعالى فنذكر منها: روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي».

فهذا الحديث الشريف يثبت صفتي: الرحمة والغضب لله تعالى، وإن كانت رحمته تغلب وتسبق غضبه فهذا من رحمته بنا وشفقته علينا.

وقوله صلى الله عليه وسلم: أيضًا في حديث الشفاعة الطويل في البخاري ومسلم: «إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله».

فنثبت صفة الغضب لله تعالى، وأنها قائمة بذات الله بمشيئته وقدرته يتصف الله عز وجل بها متى شاء وكيف شاء، جل ربنا وتعالى وتعاظم وتقدس. (العقيدة الصافية للفرقة الناجية- سيد سعيد عبد الغني، ص ٣٨٣ بتصرف).

من فوائد الآيات:

١- ذم الفخر والمباهاة إذ هما من صفات المتكبرين والظالمين.

٢- الاحتقار للفقراء والازدراء بهم من صفات الجبارين الظلمة المتكبرين.

٣- الفسق يجعل صاحبه مطية لكل ظالم وأداة يسخره كما يشاء.

٤- التحذير من غضب الرب تبارك وتعالى؛ فإنه متى غضب انتقم فبطش. (أيسر التفاسير، للجزائري).

والحمد لله رب العالمين.

اهتمامات بالأسرة

ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب

إعداد **د. جمال عبد الرحمن**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

وبعد: فإن من سنن الله تعالى في خلقه أن جعل المرأة (كأم) بفطرتها وتكوينها وامكاناتها ودورها، هي القلب في جسد الأسرة، تلك الأسرة التي جعلها الله سبحانه وتعالى هي القلب أيضا بالنسبة للجسد المجتمعي، وكلنا يعرف الحقيقة الشرعية الحسية الواقعية أن القلب هو أساس حياة كل كائن حي، كما نعرف كلنا أنه بصلاح القلب يصلح الجسد كله وبفساد القلب يفسد الجسد كله.

عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الحَلالُ بَيِّنٌ، والحَرامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُما مُشَبَّهاتٌ لا يَعْلَمُها كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ». صحيح البخاري ح٥٢.

ومن هذا المعنى فإن المرأة لأنها قلب الأسرة التي هي قلب المجتمع؛ أراد أعداء الملة من الكافرين والمنافقين أن يجتثوا هذه الشجرة من جذورها، ويبيدونها من أصولها، فكان التركيز على الجذر والأصل الذي هو المرأة والأم، المسؤولة والمربية، الحاضنة والمؤدبة.

فكان أول ما بدؤوا به هو إخراجها من حصنها، وسلخها عن عرينها، وابعادها عن مملكتها، بيت العائلة الذي أسكنها فيه زوجها من وُجده وسعته وقدرته، ومع هذا ملَّكه الله تعالى معنويًا لها وسماه بيتها، كما قال سبحانه: «لا تُخرِجُوهنَّ من بُيُوتهنَّ». وذلك لأنها هي الوحيدة التي تقضي فيه أطول الوقت، فالزوج يخرج لعمله، والأولاد يخرجون إلى مدارسهم وجامعاتهم. والأم هي الركيزة القوية، والرابطة الجامعة التي يغدو الجميع ويروح من حولها.

فكانت محاولات الشياطين من الإنس بوحي من شياطين الجن، بأن يخرجوها من مملكتها، بعلة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فظاهر الرحمة هو تحرير المرأة واخراجها من سجنها، فهي نصف المجتمع وتلد النصف الآخر، وكذلك إعطاؤها حريتها في الدخول والخروج، فهي صاحبة مؤهل علمي، وربما تسبق الرجل في بعض الأعمال والميادين، فلماذا لا تأخذ حريتها وتمارسها بشكل فيه استقلالية وحرية شخصية. وبالطبع فإن خروجها يجعلها تتخفف بداية بعض الشيء من ملابس العفة والخروج، فتبدأ رويدًا رويدًا بنزع ثياب الحشمة، وإلقاء برقع الحياء، حتى تصير قائدة ورائدة في النقمة على ثياب الطهارة والعفة، وهي تفعل كل ذلك مع الجهل بدينها ومكارم أخلاق قومها.

ثانيًا: كسر الحاجز بين المرأة والرجل الأجنبي عنها، فلا تحتجب عنه، ولا تتوارى منه. فهو مثل أخيها وابنها وأبيها، والمهم القلب، وربك ربّ قلوب. فيقع

الاختلاط، وينكشف الحجاب، حجاب الحياء أولًا، وحجاب النظر ثانيًا، ثم حجاب الزينة والوجه، وإذا زال الحجاب زاد الإعجاب، فزادت الكلمات والتعليقات والتدخلات وابداء الآراء والتدخل في المشاكل لزميلته وجارته في العمل، ولم يقتصر ذلك على العمل، وانما اتصالات بعد العمل في الليل والنهار، وسلسلة من العلاقات لا تفضي إلى خير أبدًا، فتفشل حياة الزميل في العمل مع زوجته وأولاده، فقلبه معلق بزميلته، وتفشل حياة الزميلة مع زوجها وأولادها، فقلبها معلق بزميلها، فيقع الطلاق في الأسرتين ثم يلتقي بعد ذلك المفسد بالمفسدة، في حياة يظنونها جيدة، وسرعان ما يقضي كل واحد منهما نهمته من الآخر، ثم تبدأ تصفية الحسابات، فهو لا يثق فيها، لأنها كما خانت زوجها الأول وهدمت عشه وبيته، فالأخير عرضة لنفس المصير.

وقد لاحظت تلك المنكوبة أنه بدأ يتواصل مع زوجته السابقة، فتوعدته المفسدة واتهمته بالخيانة، فتطلب الطلاق هي الأخرى، وبعد كل هذا ما مصير الأولاد في تلك الأسر جميعًا، إنهم ضحايا الاختلاط، وخروج الأمهات، ولن يتربوا إلا على ما سلكه المفسدون في الأرض. فينتشر الفساد رويدًا رويدًا وهذا ما سعى إليه أعداء الملة والدين، وقد بلع الطُعم أولئك المغيبون المفتونون.

والرائد في ذلك كله مع شياطين الإنس والجن هو الإعلام والأفلام، التي تُرضع مشاهديها بسخاء لبن طرق الانحراف بوحي ما يشاهدونه وتشربه قلوبهم. فلا حلال ولا حرام، وكل الناس هكذا، وكفانا تخلفًا وتشددًا، فلا ينفعهم النصيحة ولا ويستمعون للوحي الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وقنعوا بوحي الشياطين. قال الله تعالى: "وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ" (الأنعام: ١٢١).

كان هذا نموذجًا ومثالًا واحدًا على ما يحدث في الواقع من أثر إخراج المرأة من بيتها الموقرة فيه، وكسر حاجز فصل الرجال عن النساء، لإتلاف الحشمة وقتل الحياء، ولا شك في وجود أمثلة أخرى أسوأ وأشأم، وما خفي كان أعظم.

تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء:

اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد، وامتزاج بعضهم في بعض، ودخول بعضهم في بعض، ومزاحمة بعضهم لبعض، وكشف النّساء على الرّجال، كلّ ذلك من الأمور المحرَمة في الشريعة لأنّ ذلك من أسباب الفتنة وثوران الشهوات ومن الدّواعي للوقوع في الفواحش والآثام.

والأدلة على تحريم الاختلاط في الكتاب والسنّة كثيرة ومنها: قوله سبحانه: " وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ" (الأحزاب: ٥٣).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: قوله تعالى: " واذا سَألْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ منْ وراء حجاب". أي: وكَما نَهيْتُكُمْ عن الدُّخول عليْهنَّ كذلك لا تَنْظُرُوا إليْهنَّ بالكُلّيَة، ولوْ كان لأحدكُمْ حاجةُ يُريدُ تناوُلها منْهُن، فلا ينْظُرْ إليْهنَّ وَلا يَسألْهُنَّ حاجَةً إلّا منْ وراء حجَاب. وقال ابْنُ أبي حاتم: حدَّثنا...عنْ عائشَة قالَتْ: كُنْتُ آكُلُ مَعَ النَّبيِّ صلّى الله عليْه وَسلَّم حيسًا في قعب، فمر عمر فدعاه فأكل، فأصابت إصبعه إصبعي، فقال عمر: حسن، أوْ أوَّهْ: لو أطاع فيكنْ ما رأتكن عيْنٌ، فنزَلَ الْحجابُ. "ذلكمْ أطهَرُ لقُلوبكُمْ وقُلوبهنَّ": أيْ: هذا الّذي أمرتُكمْ به وَشرَعْتُهُ لكُمْ من الحجاب أطهر وأطيب. (تفسير ابن كثير ٦/٤٠٣).

وقد راعى النبي صلى الله عليه وسلم منع اختلاط الرّجال بالنساء حتى في أحبَ بقاع الأرض إلى الله وهي المساجد وذلك بفصل صفوف النّساء عن الرّجال، والمكث بعد السلام حتى ينصرف النساء،

وتخصيص باب خاص في المسجد للنساء. والأدلة على ذلك ما يلي: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذا سلَّم قامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ، ومَكَثَ يَسِيرًا قَبْلَ أنْ يَقُومَ. قالَ ابنُ شِهَابٍ: فأرَى واللَّهُ أعْلَمُ أنَّ مُكْثَهُ لِكَيْ يَنْفُذَ النِّسَاءُ قَبْلَ أنْ يُدْرِكَهُنَّ مَن انْصَرَفَ مِنَ القَوْمِ". صحيح البخاري رقم (٧٩٣). ورواه أبو داود رحمه الله في سننه رقم ٨٧٦ في كتاب الصلاة وعنون عليه: باب انصراف النساء قبل الرجال من الصلاة.

وعن ابن عُمر رضي الله عنهما قال: قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: " لَوْ تَرَكْنَا هَذَا البَابَ لِلنِّسَاءِ". قال نافعٌ فلمْ يَدخل منْهُ ابنُ عُمرَ حتَّى ماتَ" رواه أبو داود رقم (٤٨٤) في كتاب الصلاة باب التشديد في ذلك. قال بدر الدين العيني: قال أيوب السختياني: قوله: " لو تركنا هذا الباب": جواب "لو" محذوف تقديره: لو تركنا هذا الباب للنساء لكان أولى أو حسنًا، ونحو ذلك. ويُفهم من هذا: أن النساء إذا حضرن للجماعة مع الرجال ينبغي أن لا يختلطن بهم؛ فإن كان ثمة باب مخصوص لهن يدخلن منه، ويخرجن منه، وإلا يحترزن عن الاختلاط بهم ما أمكن. شرح أبي داود للعيني (٣٧١/٢).

وقال شرف الحق العظيم آبادي: "والْحَدِيثُ فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّ النِّسَاءَ لَا يَخْتَلِطْنَ فِي الْمَسَاجِدِ مَعَ الرِّجَالِ بَلْ يَعْتَزِلْنَ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ وَيُصَلِّينَ هُنَاكَ بِالِاقْتِدَاءِ مَعَ الْإِمَامِ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَشَدَّ اتِّبَاعًا لِلسُّنَّةِ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنَ الْبَابِ الَّذِي جُعِلَ لِلنِّسَاءِ حَتَّى مَاتَ». عون المعبود وحاشية ابن القيم (٩٢/٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا» رواه مسلم رقم ٦٦٤.

وهذا من أعظم الأدلة على منع الشريعة للاختلاط وأنه كلّما كان الرّجل أبعد عن صفوف النساء كان أفضل وكلما كانت المرأة أبعد عن صفوف الرّجال كان أفضل لها.

وعَنْ عبد الله بن سُويد الأنصاري عن عمّته أم حُميد أنها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسُول الله إني أحبُّ الصَّلاةَ معك قال فقال لها قدْ علمتِ أنك تُحبّينَ الصَّلاةَ معي وصلاتك في بيْتِك خيرٌ لك منْ صلاتك في حُجرتك وصلاتك في حُجرتك خيرٌ منْ صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خيرٌ منْ صلاتك في مسْجد قومك وصلاتك في مسْجد قومك خيرٌ لك منْ صلاتك في مسْجدي. قال: فأمرتْ فبُني لها مسْجدٌ في أقصى شيْءٍ في بيْتها وأظلمه فكانتْ تصلي فيه حتى لقيَت الله». مسند أحمد ٢٧٠٩٠ (حديث حسن).

واذا كانت هذه الاجراءات قد اتخذت في المسجد وهو مكان العبادة الطاهر الذي يكون فيه النّساء والرّجال أبعد ما يكون عن ثوران الشهوات فاتّخاذها في غيره ولا شك من باب أولى.

وقد روى أبو أُسَيْد الأنْصاريّ أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ وهُوَ خَارِجٌ مِنَ المَسْجِدِ فاخْتَلَطَ الرِّجالُ مَعَ النِّسَاءِ في الطَّرِيقِ فقالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلَّمَ للنِّساءِ اسْتَأْخِرْنَ فإنَّهُ ليْسَ لَكُنَّ أنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ (تسرْن وسط الطريق) عَلَيْكُنَّ بحَافَاتِ الطَّرِيقِ فكانَتِ المَرْأةُ تَلْتَصِقُ بالْجِدَارِ حتَّى إنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بالْجِدَارِ منْ لُصُوقِهَا بِهِ. رواه أبو داود في كتاب الأدب من سننه باب: مشي النساء مع الرجال في الطريق. (ح٥٢٧٢).

ونحن نعلم أنّ الاختلاط ومزاحمة النساء للرّجال ممّا عمّت به البلوى في هذا الزّمان في أكثر الأماكن كالأسواق والمستشفيات والجامعات وغيرها، ولكننا لا نختاره ولا نرضى به، وبالذّات في المساجد والمحاضرات الدّينية والمجالس الادارية في المراكز الإسلامية.

فما هي الحلول والبدائل؟ هذا نتناوله فى المقال القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة 260

وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لعلاج الوحشة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد علي حشيش

أولا: أسباب ذكر هذه القصة

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية-كما سنبين من التخريج- يجعل من لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن هذه القصة صحيحة.

٢) هذه القصة جُعِلت من الأذكار التي في عمل اليوم والليلة.

٣) القصة كما سنبين من المتن جاء بها افتراء على الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة.

٤) والوحشة بيَّن معناها الإمام ابن الأثير في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» ص(٩٦٢): «الوحشة: الخلوة والهم». وكذا في «لسان العرب» (٦/٣٦٨) وفي «مختار الصحاح» ص(٧١٢).

٥) وعلاج الوحشة التي شكاها علي رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سنبين من المتن أيضا وفيه افتراء على النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث يذكر «أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليًا أن يتخذ زوج حمام

يذكر الله عند هديره».

قلت: ومعنى (هديره) كما بيّن ذلك مجمع اللغة العربية في «المعجم الوجيز» ص(٦٤٦): «هدر الحمام هدرًا وهديرًا: ردَّد صوته في حنجرته».اهـ.

٦) وإذا كانت الوحشة كما بينًا آنفًا هي الخلوة وذهاب الناس عنه والهمّ، فما علاقة هذه الوحشة باتخاذ زوج حمام لعلاجها.

٧) الكتاب والسنة النبوية المطهرة عالجت الوحشة وما تحمله من خلوة وهمّ وغمّ، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

أ) فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام قد تخلى الناس عنه وذهب عنه الناس وتعرض لأشد أنواع الهموم كما هو مبين في قول الله تعالى في (سورة الأنبياء: الآية ٦٨): «قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ». فكان العلاج في اليقين والتوكل كما في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٤٥٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» (آل عمران: ١٧٣)»..

ولقد كان هذا هو العلاج الذي به حفظ الله إبراهيم عليه السلام ونجاه بقوله تعالى في الآية (٦٩: الأنبياء): «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ». وكذلك كان هذا هو العلاج الذي حفظ الله به النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم ونصره ونجاه بقوله تعالى في الآية (١٧٤: آل عمران): «فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ».

قلت: هذا هو العلاج في الوحشة بما فيها خلوة وهمّ وغمّ؛ إنه علاج باليقين والتوكل والمعية، والتسبيح سنة النبيين، لم يكن العلاج بهدير زوج حمام في وحشة من هم وخلوة، ألم يكن يونس عليه السلام في همّ وغمّ وخلوة فهو في أشد وحشة في بطن الحوت بين الظلمات، ولكن الله سبحانه نجّاه بالتسبيح. هذا على سبيل المثال لا الحصر لبيان نكارة هذه القصة التي سنكشف عوارها بالتخريج والتحقيق.

ثانيًا: المتن:

روي عن معاذ بن جبل أن عليًا رضي الله عنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة، فأمره أن يتَّخذ زوج حمام يذكر اللهَ عند هديره.

ثالثًا: التخريج

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط ويعرف بابن السني المتوفى سنة (٣٦٤هـ) في كتابه «عمل اليوم والليلة» ح(٣١٠) قال: حدثني علي بن إسحاق بن رداء، حدثنا محمد بن يزيد المستملي حدثنا الحسين بن علوان، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن عليًا رضي الله عنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة...» الحديث.

رابعًا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية، علته الحسين بن علوان:

١) قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٤/١): الحسين بن علوان من أهل الكوفة كان يضع الحديث وضعًا على الثقات، ولا تحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب؛ كذّبه

أحمد بن حنبل، وإذا سمع حديثه من ليس الحديث صناعته اتهمه بالوضع.

٢) وأورده الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (١/٥٤٢/٢٠٢٧) وقال: قال يحيى: «كذاب»، وقال عليّ: «ضعيف جدًا».

٣) وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦١/٢/١): قرئ على العباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين قال: «الحسين بن علوان كذاب». وقال: «سمعت أبي يقول: هو واهٍ ضعيف متروك الحديث».

٤) وقال الإمام الحافظ الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (١٩٢): «حسين بن علوان كذاب».

خامسًا: الاستنتاج

١) نستنتج مما أوردناه من أقوال أئمة الجرح والتعديل، أن الحسين بن علوان علة هذا الحديث كذاب وضّاع واهٍ متروك لا تحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجُّب.

٢) وبهذا يصبح الخبر الذي جاءت به هذه القصة موضوعًا.

٣) وحتى يتبين هذا المصطلح للقارئ الكريم وهو الحكم على الخبر الذي جاءت به القصة بأنه «موضوع».

قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١) النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ. وبهذا تصبح القصة واهية.

سادسًا: طريق آخر للقصة

وحتى لا يتقوّل علينا مَن لا دراية له بالصناعة الحديثية مدعيًا أن لها طريقًا آخر فهذا هو الطريق الذي سنبين ضعفه الشديد، والذي يزيد القصة وهنًا على وهن.

١) هذا الطريق أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤١٥/٦) (١٨٩٨/٢٧٧). قال: حدثنا محمد بن عبد الواحد، حدثنا حسين بن أبي زيد الدباغ، حدثنا يحيى بن ميمون القرشي التمار البصري في سنة تسعين ومائة، حدثنا ميمون بن عطاء، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: أنه شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الوحشة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لو اتخذت زوجًا من حمام فآنسك، وأصبت من فراخه، واتخذت ديكًا فآنسك، وأيقظك للصلاة».

٢) هذا الطريق علته يحيى بن ميمون: قال الفلاس: «كان كذابًا». وقال أحمد: «فرقنا حديثه»، وقال النسائي: «ليس بثقة»، وقال الدارقطني وغيره: «متروك». اهـ.

٣) وعلة أخرى الحارث الأعور: قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٤٣٥/ ١٦٢٧): قال الشعبي: «كان كذابًا»، وقال ابن المديني: «كذاب»، وقال جرير بن عبد الحميد: «كان زيفًا». وقال ابن عدي: «عامة ما يرويه غير محفوظ». اهـ. وروى أبو بكر بن عياش، عن مغيرة قال: «لم يكن الحارث يصدق عن عليّ في الحديث». اهـ.

وبهذا يتبيّن أن هذا الطريق تالف؛ لما فيه من كذابين ومتروكين، لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن.

هذا ما وفّقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

علي حشيش

(٩٤٧): «اخلُفوني في أهل بيتي».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص٦/١) مكتبة الحرم النبوي (الحديث) رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «طس: عن ابن عمر» قلت: «طس» ترمز إلى «المعجم الأوسط» للطبراني، وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم مَن لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو-كما سنبين- حديث منكر.

فالحديث أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٢/٤) ح(٣٨٧٢) قال: حدثنا علي بن سعيد الرازي، قال حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال حدثنا الزبير بن حبيب بن ثابت، عن عبد الله بن الزبير، قال حدثنا عاصم بن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال: كان آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اخلفوني في أهل بيتي».

فالحديث غريب فقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن عاصم بن عبيد الله إلا الزبير بن حبيب، تفرَّد به يعقوب بن حميد». اهـ.

وعلة الحديث: عاصم بن عبيد. قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢٧/٢): «عاصم بن عبيد الله كان سيئ الحفظ، كثير الوهم، فاحش الخطأ، فتُرِك من أجل كثرة خطئه». اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٤٧/١/٣): «سئل أبو زرعة عن عاصم بن عبيد الله فقال: منكر الحديث مضطرب الحديث»، وقال: «سألت أبي عن عاصم بن عبيد الله فقال: منكر الحديث، مضطرب الحديث، ليس له حديث يُعتمد عليه، ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٥٤/٢) أن الدارقطني قال: «عاصم بن عبيد الله يُترَك وهو مغفل». اهـ.

فائدة: لقد تبين من أقوال الأئمة أن عاصم بن عبيد الله متروك مغفلٌ منكر الحديث، والدليل على أن هذا الحديث منكر، أن آخر كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم تخبرنا عنها الصِّديقة بنت الصِّديق أم المؤمنين عائشة في الحديث: الذي أخرجه البخاري في «صحيحه» ح(٤٤٥١) قالت: «تُوفي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري فرفع رأسه إلى السماء، وقال: السماء وقال: في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى».

وفي الحديث (٦٤٦٣) قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها «اللهم الرفيق الأعلى». اهـ.

(٩٤٨): «يُفتَح إلى قبر المُعذَّب سبعون بابًا من الجحيم».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٧١/٤) وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» «لم أجد له أصلًا». اهـ.

(٩٤٩): «آية من كتاب الله خيرٌ من محمَّد وآله».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» ح(٥) وقال: «لم أقف عليه وكذا قال شيخي من قبلي». اهـ. أي لم يقف عليه شيخه الحافظ ابن حجر من قبله.

(٩٥٠): «اللهم أصلح الراعي والرعية».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٣٥٦/٤) مرفوعًا بصيغة الجزم وقال: وأراد بالراعي القلب، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده».

الحلقة 4

نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

الإمام الجويني يرد شبهات الأشعرية ‌في تعطيلهم لصفاته تعالى الخبرية والفعلية.. ويدحض تأويلاتهم الباطلة لها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد، فعلى نحو ما استوى في الإمام الجويني ت٤٣٨ الكلام عن بطلان ما عليه الأشعرية في نفيهم لصفات (الاستواء والعلو والفوقية)، وإثباتها -من ثم- على الوجه اللائق به بأدلة العقل والنقل .. فعل الشيء ذاته - مستعملا دليل القياس - في بقية صفاته تعالى.

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

فقد ذكر في رسالته عن (إثبات الاستواء والفوقية) ١/ ١٨٣ من المجموعة المنيرية ما نصه: «وإذا ظهر هذا وبان، انجلت: (مسألة الصفات من النزول واليد والوجه وأمثالها)، و(مسألة العلو والاستواء)، و(مسالة الحرف والصوت) .. أما (مسألة العلو) فقد قيل فيها ما فتح الله تعالى به، و(أما مسألة الصفات) فتساق مساق (مسألة العلو)، ولا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين، بل يوصف الرب بها كما يليق بجلاله وعظمته، فـ (تنزله) كما يليق بجلاله وعظمته، و(يداه) كما تليق بجلاله وعظمته، و(وجهه الكريم) كما يليق بجلاله وعظمته، فكيف ننكر الوجه الكريم ونحرِّف وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أسألك لذة النظر إلى وجهك)؟!».

١) الجويني يسير في تعامله في صفات الله على وتيرة واحدة لا كمن يؤمن ببعض الكتاب دون البعض:

قال: «وإذا ثبتت صفة (الوجه) بهذا الحديث وبغيره من الآيات والنصوص، فكذلك صفة (اليدين) و(الضحك) و(التعجب)، ولا يُفهم من جميع ذلك إلا ما يليق بالله وبعظمته، لا كما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وإذا ثبت هذا الحكم في (الوجه) فكذلك في (اليدين) و(القبضتين) و(القدم) و(الضحك) و(التعجب) .. فيحصل بذلك إثبات ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه وفي سنة رسوله، ويحصل أيضًا نفي التشبيه والتكييف في صفاته، ويحصل أيضًا ترك التأويل والتحريف المؤدي إلى التعطيل، ويحصل أيضًا عدم الوقوف بإثبات الصفات وحقائقها على ما يليق بجلال الله وعظمته لا على ما نعقله نحن من صفات المخلوقين».

٢) وبالقواعد عينها يُثبت الجويني (الجهة) لله مع التنزيه عن الحصر والحلول:

ذلك أن «العبد إذا أيقن أن الله فوق السماء

عال على عرشه بلا حصر ولا كيفية، وأنه تعالى في صفاته الآن كما كان في قدمه، صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجُهه ودعائه، فإذا دخل فِي الصلاة وكبّر، توجه قلبه إلى جهة العرش منزِّهًا ربه عن الحصر، مفردًا له كما أفرده في قدمه وأزليته، عالمًا أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا، ولا يمكننا الإشارة إلى ربنا في قدمه وأزليته إلا بها، لأنا محدَثون، والمحدَث لابد له في إشارته إلى جهة، فتقع تلك الإشارة إلى ربه كما يليق بعظمته لا كما يتوهمه هو من نفسه، ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه، هو معهم بعلمه وسمعه وبصره واحاطته وقدرته ومشيئته، وذاته فوق الأشياء فوق العرش.

ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه، أشرق قلبه واستنار وأضاء بأنوار المعرفة والإيمان، وعكسته أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه، فانشرح لذلك صدره وقوي إيمانُه، ونزَّه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول، وذاق حينذاك شيئًا من أذواق السابقين المقربين، بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه، فإنها قالت: (في السماء) فعرَفته بأنه على السماء، فإن (في) تأتي بمعنى: (على) كقوله تعالى: ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٢٦) أي: على الأرض، وقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ (طه: ٧١) أي: على جذوع النخل. فمن تكون الراعية أعلم بالله منه - لكونه لا يعرف وجهة معبوده - فإنه لا يزال مُظلمَ القلب، لا يستنير بأنوار المعرفة والإيمان، ومن أنكر هذا القول فليؤمن به وليجرِّب، ولينظر إلى مولاه من فوق عرشه بقلبه، مبصرًا من وجه أعمى من وجه: مبصرًا من جهة الإثبات والوجود والتحقيق، أعمى من جهة التحديد والحصر والتكييف، فإنه إذا عمل ذلك وجد ثمرته إن شاء الله، ووجد نوره وبركته عاجلاً وآجلاً (ولا ينبئك مثل خبير)».

٣) وبذات القواعد يُثبت الجويني الصوت والحرف في كلامه تعالى

وفي كلام يوزن بموازين الذهب ويكتب بأحرف النور يقول رحمه الله: وكذلك «مسألة الحرف والصوت، تُساق هذا المساق، فإن الله قد تكلم بالقرآن المجيد وبجميع حروفه، فقال: «الم»، وقال: «المص»، وقال: «ق والقرآن المجيد»، وكذلك جاء في الحديث: (فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب)، وفي الحديث: (لا أقول «الم» حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)، فهؤلاء - يعني: الأشعرية - ما فهموا من كلام الله إلا ما فهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: (إن قلنا بالحروف فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللهوات - جمع لهاة، وهي: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم - وكذلك إذا قلنا بالصوت أدى ذلك إلى الحلق والحنجرة)، عملوا في هذا من التخبط كما عملوا فيما تقدم من الصفات .. والتحقيق هو: أن الله تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنه قادر والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات.

وكذلك له صوت كما يليق به، يسمع ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس إلى الحلق والحنجرة، كلام الله كما يليق به وصوته كما يليق به، ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات، فإنهما في جناب الحق تعالى لا يفتقران إلى ذلك، وهذا ما ينشرح له الصدر، وما يستريح الإنسان به من التعسف والتكلف».

٤) ويردُّ المزيد من شبهات الأشعرية .. إقامة للحجة وإبراء للذمة

يقول: «فإن قيل: (فهذا الذي يقرأه القارئ هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه هو). قلنا: (لا .. بل القارئ يؤدي كلام الله، والكلام إنما ينسب إلى مَن قاله مبتدءً لا مَن قاله مؤدّيًا مبلغًا، ولفظ القارئ في غير القرآن مخلوق، وفي القرآن لا يتميز لفظ المؤدّي عن الكلام المؤدّى عنه، ولهذا منع السلف عن قول: (لفظي بالقرآن مخلوق)، لأنه لا يتميز .. كما منعوا قول: (لفظي بالقرآن غير مخلوق)، فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوقٌ وفي التلاوة مسكوتٌ عنه، كيلا يؤدي الكلام في ذلك إلى القول بـ (خلق القرآن)، وما أمرَ السلف بالسكوت عنه يجب السكوت

عنه». اهـ.

٥) الجويني أبرأ إلى الله ذمته .. والعاقبة على من لم يستفد من تجربته ولم يصغ لنصيحته

ويظل قوله رحمه الله: «ومن أنصف عرف ما قلنا واعتقده وقبل نصيحتنا ودان لله بإثبات جميع صفاته: هذه وتلك، ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل والوقوف، وهذا مراد الله منا في ذلك، لأن هذه الصفات وتلك: جاءت في موضع واحد، وهو: الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك وحرّفنا هذه وأوّلناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض؛ وفي ذلك بلاغ وكفاية إن شاء الله تعالى».. أقول: سيظل قوله هذا علامة فارقة ومضيئة في طريق أهل السنة وجماعة المسلمين؛ يتميزون به عمن سواهم.

وهكذا نصح هذا الإمام الصادق في نصحه، شيوخه الذين عاش معهم وبين أظهرهم برهة من الزمن في التأويل والتحريف في صفات الله تعالى كلها؛ أو التصرف فيها بإثبات بعضها وتأويل البعض الآخر، ثم تاب فتاب الله عليه؛ وكتب هذه (النصيحة) التي انتخبنا منها بعض النقاط من أولها ومن آخرها.

فهل يستفيد شيوخنا من كلامه هذا الذي أفاد به شيوخه، وقد ناقشهم في مسائل الخلاف بالأدلة النقلية والعقلية معًا، وطالبهم بالإنصاف - والإنصاف من الإيمان - وأوضح لهم أنه لا يوجد ما يفرّق بين ما أوّلوه وحرّفوا فيه الكلام وبين ما أثبتوه من الصفات، لأن هذه وتلك جاءت في موضع واحد وهو الوحي من كتاب أو سنة، ودرج على عدم التفريق بينها سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وعلماء الحديث، ثم أوضح السبب الذي حمل علماء الكلام على تأويلهم صفات الله عامة والصفات الخبرية السمعية خاصة، وهو أنهم فهموا منها خطأً: المعاني التي تليق بالمخلوق، ثم أرادوا تصحيح ذلك المفهوم الخاطئ فوقعوا في التأويل، أي شبّهوا أولاً ثم عطّلوا ثانيًا، وتلك هي حقيقة القوم وعقيدتهم! .. أقول: هل يستفيد شيوخنا في زماننا من هذه التجربة؟ هذا ما نأمله.

٦) مسايرة الجويني لما كان أئمة أهل السنة قاطبة في أن كلام الله: بلفظ وحرف وصوت

ولم يكن الجويني بدعًا ممن جاء قبله ولا ممن أعقبه، ففي رده شبهات الأشاعرة القاضية بأن كلام الله: معنى قائمٌ بنفسه بلا حرف ولا صوت، وفي تدبره واستدلاله بآية: (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) (الفتح: ١٥)، يقول الحافظ قوّام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني ت٥٣٥ في كتابه (الحجة في بيان المحجة) ٢/ ٢١٣ - وبنحوه ١/ ٤٣١-: إن كلامه تعالى «لا يخلو إما أن يكون كلامًا وصل إليهم أو كلامًا لم يصل إليهم، ولا يجوز أن يكون كلامًا لم يصل إليهم لأن ما لا يصل إليهم لا يتأتى تبديله، فثبت أنه وصل إليهم، وليس ذلك إلا الحروف والأصوات، ولأنه قال: (عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ) (الإسراء: ٨٨)، و(هذا) في موضوع اللغة: (إشارة إلى شيء حاضر)، فلو كان كلام الله معنى قائمًا في نفسه لم يصح الإشارة إليه، ولم يمتحنهم بالإتيان بمثله، لأن فيه تكليف ما لا يطاق وهذا لا يجوز؛ كما لا يجوز عليه أن يكلف الأميَّ نُقَط المصاحف والزَّمِن القيام، فثبت أن الله امتحنهم بما سمعوه من الحروف والأصوات، ولأن أهل اللغة سمّت الحروف والأصوات كلامًا وما عداه ليس بكلامٍ حقيقة».

ومن الأدلة التي ساقها الأصبهاني في رد شبهاتهم: «قوله تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا) (الأحقاف: ٢٩)، وإنما يُنصت إلى الحروف والأصوات .. ورُوي في الصحيح: (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس)، فلو كانت القراءة غير المقروء لم تصح الصلاة بها، ولأن من حلف بالطلاق أن لا يتكلم فقرأ القرآن لم يحنث؛ وما ذاك إلا لتغايرهما، ولو كانت القراءة كلام آدمي لحنث، ولأن الكفارة تَجبُ بالحنث إذا كان الحالف يحلف بغير مخلوق، ولو كان مخلوقًا لم يجب الكفارة به. وقوله تعالى: (إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) (المدثر: ٢٥)، ومعلوم أن قريشًا أشارت بهذا القول

إلى التلاوة التي سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كانت من كلام البشر لما توعَّدهم بالنار .. وقولُه: (إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ) (الواقعة: ٧٧، ٧٨)؛ وقولُه: (وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ) (الطور: ١: ٣)، و(في) عند أهل اللغة للوعاء، فدل على أن القرآن في المصحف، وأن الكتابة هي المكتوب، ولأن الأمة مُجْمِعةٌ على تسمية ما في المصحف قرآنًا » ا.هـ بتصرف.

وكان الأصبهاني - رحمه الله - قد ردَّ بنفس المصدر ١/ ٣٦١ على من زعم من الأشاعرة أن: كلام الله قائم بذاته وأن القرآن من كلام جبريل حكاية عنه، بما نصه: « لم يقل أحد - يعني من جماعة أهل السنة وأصحاب الحديث -: إن القرآن قائم بالذات، فذلك قولٌ يخالف قول الجماعة .. ومن قال: (هو قائم بالذات)، يقال له: (مَن ردد في نفسه كلامًا من غير أن يريد أن يقرره في نفسه فهو موسوس، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا »، قال:

« فإن قيل: (لا يمتنع أن يكون كلام جبريل عبارة عن القرآن)، قيل: (حصول الإعجاز بلفظه ونظمه لا يحصل بكلام جبريل) .. فإن قيل: (إن الحروف لا تحصل إلا بالأدوات، لأن لكل حرف منها مخرجًا ولا يجوز إضافة ذلك على الله)، يقال له: (قد قال الله تعالى: « يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ » (ق: ٣٠)، وليس للنار أدوات للحروف، وقال: « قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ » (فصلت: ١١)، وقال للجنة: « تكلمي » فقالت: « قد أفلح المؤمنون »، وقالت الذراع المشوية للنبي عليه السلام فيما أخرجه البخاري في صحيحه: « لا تأكلني فإني مسمومة »، ولأنه إذا جاز أن يقال: إنه لم يتكلم بحرف وصوت لأنه يؤدي إلى إثبات الأدوات، وجب أن لا يَثبُت له العلم لأنه لا يوجد في الشاة علم إلا علم ضرورة أو علم استدلال، وعلم الله يخرج عن هذين القسمين) » ا.هـ مما تيسر ذكره على سبيل المثال، وبما يفيد أن تلك هي عقيدة أهل السنة قاطبة.

٧) رجاء ودعاء من القلب أن يهد الشيوخ لما هدى إليه سلف الأمة

والله تعالى نسأل أن يجزل المثوبة للجويني وأمثاله على نصيحته الهادئة والصادقة، فلقد محض - رحمه الله - النصح، وأكد أن معلميه لم يفهموا نصوص الصفات الخبرية والفعلية الفهم الصحيح، بل لم يفهموا منها إلا ما يليق بالمخلوق ولذلك تورطوا في التحريف والتعطيل أو الوقوف دون محاولة للفهم، لذا بادر بتوجيه تلك النصيحة فور توبته وسلوكه مسلك السلف على بصيرة من ربه .. وذلك بعد أن كاد حبُّه وتقديره لشيوخه أن يُخلداه إلى أرض التقليد ليحولا بينه وبين صدعه بالحق واتباعه، ولكن الله سلم وأخذ بيده إلى بر السلامة، فسلم ووُفق وهُدي ودعا غيره إلى طريق الله المستقيم .. وذلك قوله في آخر رسالته:

« رحم الله عبدًا وصلت إليه هذه الرسالة ولم يعالجها بالإنكار، وافتقر إلى ربه في كشف الحق آناء الليل والنهار، وتأمل النصوص في الصفات، وفكّر بعقله في نزولها، وفي المعنى الذي نزلت له، وما الذي أريد بعلمها من المخلوقات .. ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد إلا معرفة الرب بها، والتوجه إليه من خلالها، وإثباتها له بحقائقها وأعيانها كما يليق بجلاله وعظمته، بلا تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا جمود ولا وقوف، وفي ذلك إن شاء الله بلاغ لمن تدبر، وكفاية لمن استبصر » ا.هـ.

فليهنأ إمامُنا وشيخنا - أمطر الله قبره بشآبيب رحمته - بهذا التوفيق وهذه الهداية، ولعل الله علم من الرجل الإخلاص في عمله وجهاده الذين بذلاهما في البحث عن الحق في فترة (حيرته وتردده)، تلك الفترة الصعبة التي ضاعف فيها الجهد للوصول إلى الحق، فكان أن هداه الله إليه ووفقه، مصداقا لقوله تعالى: « وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ » (العنكبوت: ٦٩).

ولله الفضل والمنة.. وإلى لقاء، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثالثة

القرآن منهج وعمل (٢)

النهي عن السخرية والاحتقار

إعداد **د/ عادل بن يوسف العزازي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فما يزال الحديث متصلاً عن النهي عن السخرية والاستهزاء، وقد سبق الحديث عن قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (الحجرات: ١١) وغيرها من الآيات القرآنية وكذا تناولنا بعض الأحاديث النبوية. ونستكمل ما بدأناه فنقول وبالله تعالى التوفيق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: (لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِم الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّه مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخَرَاءَ بِأَنْفِه، إِنَّ اللَّه قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ). (جامع الترمذي، ح: ٣٩٥٥، وصححه الألباني: ينظر حديث رقم: ٥٤٨٢ في صحيح الجامع).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمه الله: (إِنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ فَهُوَ الْخَيْرُ الْفَاضِلُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَسِيبًا فِي قَوْمِه، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ فَهُوَ الدَّنِيءُ وَإِنْ كَانَ فِي أَهْلِه شَرِيفًا رَفِيعًا). اهـ. (تفسير سنن أبي داود (معالم السنن) لأبي سليمان الخطابي ٣/ ٥).

فلعل المسخور منه أخلص ضميرًا، وأنقى قلبًا، وأطيب عملاً من ذلك الساخر الأفاك الأثيم؛ لأنه ربما ظلم نفسه بتحقير من وقَّره الله، والاستهانة بمن عظَّمه الله.

أسباب السخرية والاستهزاء:

قد يسخر إنسان من آخر لفقره، وقد يسخر منه لجنسه، وقد يسخر منه للونه، وقد يسخر منه لمكانته، فهل هناك مبررات للسخرية من الخلق؟

قلت: لا تجوز السخرية بحال من الأحوال. فإن التفاضل بين الناس لا يكون إلا على أساس التقوى والعمل الصالح، وهذا أمر لا يعلمه إلا الله تعالى، فقد يسخر العبد من غيره ويكون هذا الذي وقعت عليه السخرية خير من ذلك بدرجات عظيمة لا يعلمها إلا الله تعالى.

قال رجل لعمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «اجعل كبيرَ المسلمين عندك أبًا، وصغيرهم ابنًا، وأوسطهم أخًا، فأي أولئك تحب أن تسيء إليه؟». (انظر: جامع العلوم والحكم: ص٢٩٦).

السخرية بالناس خلق ذميم:

اتصف به من أبغضهم الله تعالى ومقتهم من الكفار والمنافقين، وقد ذكر الله تعالى سخريتهم بالمؤمنين، واستهزاءهم بهم، فالسخرية من صفات الكفار:

فهم يسخرون من الأنبياء:

فهؤلاء قوم نوح عليه السلام كانوا يسخرون منه وممن اتبعه من المؤمنين «وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ» (هود:٣٨).

وهكذا كان دأب الكافرين في كل الأمم يسخرون من رسلهم كما أخبر الله تعالى عنهم «وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» (الزخرف:٧) وفي الآية الأخرى «يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» (يس:٣٠).

ويسخرون من المؤمنين:

قال الله تعالى: «زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» (البقرة:٢١٢).

وقال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ» (المطففين:٢٩-٣٠).

ويقولون محقرين المؤمنين: «أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا» (الأنعام:٥٣).

ويسخرون من الآيات: قال الله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ» (الصافات/ ١٤).

والسخرية من صفات المنافقين:

وهم أكثر الناس سخرية بالرسل وأتباعهم، وبما جاءت به الرسل عليهم السلام من الحق والهدى

قال الله تعالى: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» (البقرة:١٤)، وقال الله تعالى: «يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ» (التوبة:٦٤).

وقال الله تعالى عنهم «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (التوبة:٧٩).

واذا كانت السخرية من أخلاق الكفار والمنافقين فلا يليق بمسلم أن يتخلق بأخلاقهم، فيسخر من إخوانه المسلمين، أو يلمزهم، أو ينابزهم بألقاب فيها تحقير لهم، وحط من شأنهم وقد نهاه الله تعالى عن ذلك، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره) رواه مسلم.

الآثار الوخيمة على المستهزئين:

السَخرية داء من أدواء الجاهليّة يجب تجنّبه والبعد عنه، فهي تدفع بصاحبها إلى ذنوب أخرى؛ فقد يكون الدافع إلى سخرية المرء بأخيه المسلم؛ حسده له على نعمة لم يبلغها، ويرى أن أخاه لا يستحقها، فيبلغ به حسده، وظلمة قلبه عليه أن يسخر من أخيه ويحتقره وينتقصه؛ ليحط من قدره، وينزله من مكانته، ويعلي من شأن نفسه، ويلفت الأنظار إليه.

والسخرية تقود إلى الغيبة وهي من كبائر الذنوب، فقد لا يستطيع السخرية بحضرة أخيه، فيسخر به من ورائه؛ فتكون سخرية وغيبة، ويكون هو بمثابة من أكل لحم أخيه ميتًا.

وصاحب السخرية لا بد أن يكون همازًا لمازًا، واللمز هو المباشرة بالسوء والمكروه، والمواجهة بالقدح والعيب، ويكون بالقول. والهمز يكون بالفعل كأن يعيبه بالإشارة بالعين أو بالشدق أو بالرأس بحضرته أو عند توليه.

واذا فشت السخرية في الناس تنابزوا بالألقاب، وعيّر بعضهم بعضا، فتنافرت قلوبهم، وانحلت روابطهم، فتعادوا وتهاجروا، وتدابروا وتباغضوا، ولم يكونوا عباد الله إخوانا؛ ولذا نهاهم الله تعالى عن التنابز بالألقاب، والتنادي بالعيوب والمعاير «وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ» (الحجرات:١١).

والسخرية سبب للعداوة والخصومات، وقد ينتج عنها سباب واعتداء بالقول والفعل والمقاتلة؛ لأن الساخر قد يتمادى في سخريته، فلا يحتمل أخوه منه سخريته، فينتصر لنفسه بالقول أو بالفعل. وكم من خصومات ومشاجرات أضرت بأصحابها ولربما كان فيها قاتل ومقتول كانت شرارتها الأولى استهزاء أحد الخصمين بالآخر، نفخ الشيطان في نارها حتى آلت بأصحابها إلى المقاتلة!!.

والسخرية ناتج عن داء الكبر، «الكبر بطر الحق

وغمط الناس.

وقد يبتلى الساخر بمثل من سخر منه:

مشهور عند العامة من قديم، وهو أن من سخر من شيء أو استهزأ به، فإنه يعاقب بمثل ما استهزأ به؛ سواءَ أكان ذلك في نفسه أو في ذريته. « مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ » (فصلت: ٤٦).

وقد قالوا: لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك.

كان إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى يقول: (إني لأرى الشيء أكرهه فما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلى بمثله).

وقال يحيى بن جابر رحمه الله: (ما عاب رجل رجلاً قط بعيب إلا ابتلاه الله بمثل ذلك العيب).

وهذا واقع مشاهد، وقد يجده الإنسان في نفسه، فيسخر من شخص في صفة اتصف بها، أو فعلة فعلها، ثم إذا هو يفعل مثل فعلته، ويتخلق بصفته التي عابها منه، أو ضحك بسببها عليه، ويكون ذلك عاجلاً أو آجَلا، فإن لم تصبه أصابت ولده حتى يراها فيه، وهذا جزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحدًا.

ومن مضار السخرية: أن فيها مخالفة صريحة لأمر الله عزّ وجلّ ثمّ هي جالبة لسخطه مستوجبة لعذابه.. وهي نذير شؤم للسّاخرين، فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح الّذين كفروا بالله وسخروا من نوح.

والسّخرية تفقد السّاخر الوقار وتسقط عنه المروءة.

والسّاخر يظلم نفسه بتحقير من وقّره الله عزّ وجلّ واستصغار من عظّمه الله.

والسّخرية تنسي الإنسان ذكر ربّه، وبذلك يخسر السّاخر نفسه ويلقي بها في النّار.

الجزاء يوم القيامة

وسيجد الكفار والمنافقون يوم القيامة عاقبة سخريتهم بالرسل وأتباعهم، وبما جاءت به الرسل عليهم السلام، وحينها يعرفون أن من كانوا يسخرون منهم كانوا هم أهل الحق والهدى، وأنهم هم أهل الباطل والضلال، وذلك حين يقال لهم « إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ » (المؤمنون: ١٠٩-١١١).

ويعجبون يوم القيامة حين لا يرون من كانوا يسخرون منهم في الدنيا معهم في النار، وقد كانوا يظنون أنهم على ضلال « وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ » (ص: ٦٢-٦٣).

ويكون الضحك في الآخرة للمؤمنين حين يدخلون الجنة فيرون ما هم فيه من النعيم العظيم المقيم، ويرون من كانوا يسخرون منهم في الدنيا من الكفار والمنافقين في العذاب الأليم المهين.

« فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ » (المطففين: ٣٤-٣٦).

وهو استفهام تقريري يعني نعم ثُوّبوا أي جوزوا بأعظم العذاب، وأشد النكال على كفرهم ونفاقهم، وعلى سخريتهم بالمؤمنين في الحياة الدنيا، جزاء من جنس أعمالهم، وما ربك بظلام للعبيد.

ومن صور هذا الاستهزاء في وقتنا المعاصر: السخرية بالعلماء والمشايخ، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وغيرهم من أهل الصلاح والخير، ولمزهم بالألقاب السيئة، وتأليف القصص المكذوبة التي تسمى النكت عليهم، ومنها السخرية بالجيران والأصدقاء والأقارب، وقد يكون الحامل على هذه السخرية والاحتقار هو الحسد، فقد يبرز بعض الناس عند أقاربه أو أصدقائه بتجارة أو علم أو دراسة فيسخرون منه، ويلمزونه في المجالس؛ ليسقطوه من أعين الناس.

ومنها أيضا ما يقع بين الأزواج فيسخر بعضهم من بعض، واحتقروا تصرفاتهم، وخلقتهم، وبيئتهم، وغير ذلك مما يندى له الجبين.

والحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفطرة السوية
طريق السداد والرشاد

إعداد: د. فيصل بن جميل غزاوي
خطيب المسجد الحرام

الحمد لله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأكرمه أعظم تكريم، وهدى من شاء بفضله إلى دينه القويم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، العلي العظيم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، الهادي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، الذين فازوا بعز الدنيا، وفي الآخرة بالنعيم المقيم.

أما بعدُ: فاتقوا الله-عباد الله-؛ فتقوى الله عنوان السعادة، وعلامة الفَلَاح: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الأنفال: ٢٩).

الخلق مفطورون على الخير والفضائل

أيها المسلمون: إن الله-تعالى- خلق الإنسانَ على فطرة سوية؛ وهي الخِلقة التي خلق الله عبادَه عليها، وجعلهم مفطورينَ عليها، وعلى محبَّة الخير والفضائل والمحاسن، وكراهية الشر والمساوئ والقبائح، وفطرهم حنفاءَ مستعدينَ لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه.

الدين الإسلامي دين الفطرة السليمة

والدين الإسلامي دين الفطرة السليمة، فخالقُ الفطرة-جل في علاه- هو الذي أنزل الدينَ القويمَ، وشرعه وارتضاه، ولم يقبل من أحد دينا سواه؛ (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(الرُّوم: ٣٠).

سمات الفطرة السوية

عبادَ الله: ومع اختلاف البشر في مِلَلهم ومشاربهم وأجناسهم، فإنهم لا يزالون متفقينَ على المحافَظة على إنسانيتهم؛ ليستمرَّ بقاؤهم، وتنتظم حياتهم.

وهذه الخِلقة التي خلَق الله الناسَ عليها تأبى الشهواتِ الشاذةَ بحُكم فطرتها، وهذا في غالب الناس؛ إذ النادر لا حُكم له، بل هو شاذٌ، فلا يُعتَدّ بمن طرأ على فطرته عارضٌ فأفسدَها وطمَس بصيرتَها، حتى تختلَّ المفاهيمُ لديه؛ فيرى الحقَّ باطلًا والباطل حقًّا، والحسنَ

قبيحًا، والقبيحَ حسنًا، والحلالَ حرامًا، والحرامَ حلالًا، فعن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كالحصير عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ؛ علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا، فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَاوَاتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا؛ كالكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ".

عبادَ الله: توحيد الله وعدم الإشراك به هو مقتضى الفطرة التي فُطرت عليها البشريةُ كلُها؛ فقد وُلد الناسُ حنفاءَ على فطرة الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام: "ما مِنْ مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ"، وجاء في الحديث القدسي: "إنِّي خلقتُ عبادي حنفاءَ، فاجتالَتْهم الشياطينُ"، لكن عندما تنتكس الفطرةُ وتتعطّل العقول يضلُّ العبادُ؛ فيشركون بربهم، ويعبدون الأصنام، والأحجارَ، والأشجارَ، والكواكب، والشيطان، والبقر، والفئران، وغيرَها من المعبودات الباطلة، والآلهة الزائفة، التي تُعبَد من دون الرحمن، ومع فساد فطرة هؤلاء، وفقدهم الهدى، فهم يُصرُّون على باطلهم، ويستحبُّون الكفرَ على الإيمان، حتى إن منهم مَنْ يبذل جهده للصدِّ عن سبيل الله وفتنة المؤمنين؛ لإخراجهم من عبادة الواحد الديَّان إلى عبادة الأوثان، وردِّهم عن دين الفطرة المستقيم ليَضلوا مثلهم، ويكونوا من أصحاب الجحيم.

العواقب الوخيمة لانتكاس الفطرة

والاعتراف بالخالق أمرٌ فطريٌ ضروريٌ في نفوس الناس، لكنْ عندما تنتكس الفطرة فمِنَ الناس مَن يكابر فطرته ويغالب عقله ويناقض البديهيات؛ فيُنكر وجود الله-تعالى-، وينفي أن يكون لهذا الكون خالقٌ مدبِّرٌ، مع أن كلَّ ما في الكون والآفاق دلائلُ على وجوده وربوبيته، وشواهدُ على وحدانيته وقدرته.

وعند الشدائد والأهوال تستيقظ فطرةُ الإنسان؛ فيُفرد ربه بالألوهية، كما قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ)(الإسْرَاء: ٦٧)، لكنْ عندما تنتكس الفطرةُ عندَ بعض جهلة المتسمِّينَ بالإسلام إذا دهمتهم الشدائدُ وغشيتهم المحنُ والكروبُ تركوا دعاء الله، واستغاثوا بمن يعتقدون فيه الولاية والصلاح، وطلبوا منه العون والمدد؛ فكانوا في ذلك أسوأ من المشركين عبدة الأصنام، الذين كانوا عند حلول الحوادث العظام، والخطوب الجسام، يلجؤون إلى الله وحده، وينسَوْن آلهتهم، طالبينَ النجاة كما قال- جل في علاه-: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)(العَنْكَبُوت: ٦٥).

الخصائص المميزة لكل من الذكر والأنثى

أيها الإخوةُ: لقد جبَل الله الذكرَ والأنثى بخِلقة وطباع وخصائص، يتمايز بها كلٌ منهما عن الآخر، قال تعالى: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ)(آل عمران: ٣٦)، وهذه خلقة الله لا تبديل لخلقته، وقد لعَن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، لكنْ عندما تنتكس الفطرة، فمن الشباب مَنْ يتنكَّر لطبيعته؛ فيتعمَّد مشابهة النساء: متأنثًا في ملبسه، متميعًا في كلامه، متغنجًا في ضحكه، متكسرًا في مشيته، وتلحظ في هيئته ما لا يدلُّ على رجولته، وقد يشتبه عليك أمره: أذكرٌ هو أم أنثى؛ ممّا يبدو لك من مظهره، وكذلك من الفتيات مَنْ تتنكّر لطبيعتها، وتتخلَّى عن أنوثتها، وتتمرَّد على فطرتها، فتتشبَّه بالرجال فيما يختصُّون به شرعًا أو عرفًا؛ من الكلام، أو الهيئة، أو اللباس، أو غير ذلك.

ومِنْ حكمة الله البالغة أنْ خلَق الزوجين الذكر والأنثى، وفطر كلًا منهما على الميل إلى الآخَر، والنكاحُ في الإسلام هو اقتران

بين ذكر وأنثى، وهو فطرة وحاجة إنسانية، يعطي لكل واحد من الزوجين حقَّ الاستمتاع بالآخر على الوجه المشروع، لكنْ عندما تنتكس الفطرةُ، فمن الشباب-مع استطاعته الزواج- فإنه يعزُف عنه؛ بحجة أنه ارتباط ومسؤولية وله تبعاتٌ، وكذلك منَ الفتيات مَنْ ترفض الزواج، ولا ترغب فيه معتقدةً أنه كبتٌ للحرية، وتحكُّمٌ في المرأة، وقد يعمد مَنْ يختار العزوبة من الفتيان والفتيات-هداهم الله- إلى علاقات محرَّمة لإشباع نَهمتهم وتحقيق مطمحهم، وعندما تنتكس الفطرةُ كذلك تُرتكَب الكبائرُ، وتستساغ الرذائلُ والمناكرُ؛ كعمل قوم لوط والسّحاق، وما يُعرف بتبادُل الزوجات، وكذلك ما يُطلَق عليه زورًا وبهتانًا بزواج المثليّين، وما هو بزواج، بل شذوذٌ، ومسخٌ للفطرة الإلهية السوية، وتغييرٌ للجبلّة الإنسانية، ومخالفةٌ للغريزة التي وضعها الله في مخلوقاته، وهكذا فمتى ارتكسَتْ فطرةُ المرء عاش حياةً هابطةً رخيصةً، لا يُبالي بما صار إليه حالُه من الخِسّة، والانحطاط الخُلُقيّ.

المآلات الخطيرة لانتكاس فطرة بعض الرجال وبعض النساء

وممَّا ابتليتْ به مجتمعاتُ المسلمين مؤخرًا، وكان من معاول هدم العلاقات الأسرية، والأواصر الاجتماعية، قيامُ بعض النساء-هداهن الله- بمخالَعة أزواجهم، لغير سبب شرعيّ، أو لأتفه الأسباب؛ بحجة أن تُصبح المختلعةُ حرةً غيرَ مقيدة، وقد يُسوِّل لها الشيطانُ بعد مخالعتها زوجَها إقامة علاقة محرَّمة مذمومة، تأثُّرًا بشبهات وأفكار مسمومة، تتجرَّع من جرَّائها الويلاتِ، وتجني من ورائها الحسراتِ.

الهداية والرشاد للفطرة السوية

والغَيرة-عباد الله- من طباعِ الفطرة الإنسانية السوية؛ فالرجل السويّ يغار على أهلِه وعرضه؛ فعندما بلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قولُ سَعْد بن عُبادَةَ: "لو رَأيْتُ رَجُلًا مع امْرَأتي لَضَرَبْتُهُ بالسَّيْفِ غيرَ مُصْفَحٍ عَنْهُ"، قالَ: "أتَعْجَبُونَ مِن غَيْرَةِ سَعْدٍ، فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي..." الحديث، لكن عندما تنتكس الفطرةُ، يُضيّع الرجل مسؤوليتَه، فلا ولايةَ ولا قوامةَ، ويُهمل رعيتَه ولا يغار عليهم، بل يَرى المنكرَ في أهل بيته فلا يتمعَّر وجهُه، وقد جاء في الحديث: "ثَلاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَالعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الخَبَثَ".

إنَّ ممَّا فُطرت عليه النفسُ السويةُ، وجُبلت عليه الطباعُ المَرْضيَّةُ الأنفةُ من الزنا واستهجانُ فعله؛ ولذلك لمّا سأل النبيَّ-صلى الله عليه وسلم- ذلك الشابُّ الذي طلب الإذنَ في الزنا قائلًا له: "أتحبُّه لأمِّكَ؟ أتحبُّه لابنتك؟ أتحبُّه لأختك؟"، كان الشاب يقولُ في كل واحد: "لا، جعَلني الله فداكَ"، وهو-صلى الله عليه وسلم- يؤكد له أن الناس لا يُحبُّونه، لا لقريب ولا لبعيد، ولمّا بايع النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- النساءَ، وأخذ الميثاقَ عليهنّ ألّا يزنينَ، قالت هندُ بنتُ عتبة: "يا رسول الله، أوَتَزْني الحُرَّةُ؟!"؛ أي: أيُعقل أن تزني المرأةُ الحرةُ العفيفةُ، وهي تعلم أنه فاحشةٌ ومنكرٌ وعارٌ، ولكن عندما تنتكس الفطرة ترى بعضَ النساء قد أضاعتْ عفتَها، وباعتْ عرضَها، ودنَّستْ شرفَها، فلا مراعاة لفضيلة، ولا امتناعَ عن مقارفة الرذيلة.

عبادَ الله: الحياءُ، والعفةُ، والمروءةُ، والشهامةُ، خصالٌ حميدةٌ، وسجايا كريمةٌ، تتجاوب وتتناسَق مع الفطرة السليمة، فهذا شاعر في الجاهلية قبل الإسلام يقول عن امرأة في عصره:

سقط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطه
فتناوَلَتْه واتَّقتنا باليد

فحينَ سقط خمارُها تناولَتْه، مغطيةً وجهَها بمعصميها، ولا غرو؛ فالفطرة تدعو إلى حشمة المرأة وعفافها، والتستر وعدم التعري، لكنْ عندما تنتكس الفطرة، فهناك من النساء من تنزع عنها ثوب الحياء، فلا تبالي بسفورها وتبرجها، وإبداء زينتها ومفاتنها أمام الرجال الأجانب، وهذا شاعر جاهلي يصف حاله منْ غضّه طرْفَه عن امرأة جاره؛

تحشُّمًا واحترامًا لقَدْر الجار، وحفظًا لحقه، وحمايةً لعرضه. فيقول:

وأغضُّ طرفي إنْ بدتْ لي جارتي
حتَّى يُواريَ جارتي مثْواها

خطورة الدعوة للتمرد على الفطرة السوية

لكن عندما تنتكس الفطرة ينتهك المرءُ الحرمات؛ فيخون جارَه، ويعمَد إلى أذية نسائه والتحرش بهنّ، وقد يرتكب ما هو أشدُّ قبحًا، وأعظم جرمًا؛ فيزاني حليلة جاره، الذي عدّه النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- من أعظم الذنوب.

عبادَ الله: والطهارة المعنوية والحسية متوافقةٌ مع الفطرة السليمة؛ فطهارة اللسان وجمال المنطق منقبةٌ فاضلة، والبذاءةُ والسفاهةُ من الأخلاق السافلة، التي تنبو عنها النفوسُ الكريمة، ويأبى التخلقَ بها أصحابُ الفطر السليمة، قال صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله يَبْغض الفاحشَ البذيء"، لكنْ عندما تنتكس الفطرةُ فلا يُستحيا من قبيح الكلام وفاحشه، بل تصبح البذاءةُ والسفاهة مقبولةً مستساغة، يَسهُل انتشارُها وجريانُها على الألسنة بلا نكير، والإنسانُ مجبولٌ على حُبِّ النظافةِ والجمال، والنفور من النجاسة والأقذار، وقد حثّ الإسلامُ على سُنن الفطرة التي تعتني بنظافة الإنسان باطنًا وظاهرًا، قال صلى الله عليه وسلم: "الفطرةُ خمسٌ: الختانُ، وحلْقُ العانة، ونتْفُ الإبط، وتقليمُ الأظافر، وحلقُ الشارب"، لكنْ عندما تنتكس الفطرةُ يعارض سلوك المرء طبيعتَها؛ فتظهر مساوئُ مخالفتها، فقد يقع بعضهم في مخالفة عدم تقليم أظفاره، وتركها تطول حتى يتخللها العفنُ والأوساخُ، مع ما فيه من القُبح والتوحُّش، وقد يُزيَّن له أن ذلك من الزينة والجمال. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ)(الرُّوم: ٤٣).

أيها المسلمون: الفطرةُ السويةُ عندما تسلَم من العوارض المؤثِّرة، تعرف الحقَّ، وتتجه للخير، وتستقيم لربها، جاء في الحديث "أن النبي-صلى الله عليه وسلم- ليلة أُسْري به، أُتيَ بقدحيْن: قدح لبَن، وقدح خمر، فنظرَ إليهما، فأخذ اللبَنَ، فقال جبريلُ: الحمدُ لله الذي هداكَ للفطرة، لو أخذتَ الخمرَ غوتْ أمّتُكَ"، قال النووي-رحمه الله-: "ومعناه-والله أعلم- اخترتَ علامةَ الإسلام والاستقامة، وجعَل اللبنَ علامة لكونه سهلًا طيبًا طاهرًا سائغًا، للشاربين، سليم العاقبة، وأما الخمر فإنها أُمُّ الخبائث، وجالبةٌ لأنواع من الشر في الحال والمآل".

عبادَ الله: وعلى قدر عمل الإنسان بهذا الدين والالتزام به والاستقامة عليه، تصحُّ الفطرة، وتُصرَف عنها المفسداتُ، وقد أدركَ أعداءُ الدين أن المجتمع المسلم فُطرَ على أخلاق الإسلام، ولن ينحرف عن تعاليم الدين، ويسلك طريقَ الغواية إلا إذا تشوَّهت الفطرةُ في قلوب أبنائه، ومتى انحرفت السَّجيّةُ فلا واقٍ من انحراف السلوك، وسوء الأفعال، وفسادَ الأفكار.

معاشرَ المسلمين: ما أكثر الداعين إلى التمرد على الفطرة، ومن أولئك مَنْ يقوم بترويج ما يدعو إلى تبديل الفطرة وارتكاسها، عبر وسائل التواصل الحديثة، وغيرها، فإذا أردْنا أن تستقيمَ حياتُنا، وننعَم بالسعادة فلا بدَّ أن نَثبُتَ على فطرتنا السوية، التي فطَرنا الله عليها، ونحذَر من انتكاستها، ونتمسَّكَ بهدي ربِّنا ومنهجه القويم، ولا نُعرضَ عنه؛ فالإعراضُ عنه كفيلٌ بأن يُحيلَ حياةَ الإنسان في دنياه وأخراه إلى شقاء وضيق وعذاب مستمرّ (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ)(طه: ١٢٤).

عبادَ الله: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحـزاب: ٥٦)، اللهم صلِّ على محمد النبي الأمـيّ، وعلى آل محمد، وارضَ اللهم عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا منان.

مقالات في معاني القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في بعض سور كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من سورة يونس

قوله تعالى: (قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ) (يونس: ٢)

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر(لسحُر) أرادوا الوحي، وقرأ الباقون (لَسَاحِر) أرادوا الرسول صلى الله عليه وسلم (الحجة للقراء السبعة لأبي على الفارسي٤/ ٢٥٢).

قوله تعالى: (قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ) (يونس: ١٦).

القراءات: قرأ ابن كثير بخلف عن البزي بحذف ألف (ولا)، والباقون بإثباتها وهو الوجه الثاني للبزي.

المعنى: (ولا أدراكم به): (لا) للنفي. والمعنى: لو شاء الله ما أعلمكم به (ولأدراكم به) اللام للتأكيد، والمعنى: ولأعلمكم به من غير طريقي، وعلى لسان غيري، ولكنه يمنّ على من يشاء من عباده فخصني بالنبوة (البحر المحيط لأبي حيان ٥/ ١٧٧).

قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ) (يونس: ٢٢).

القراءات: قرأ ابن عامر وأبو جعفر (ينشركم) من النشر يعني يبثكم ويفرقكم كما قال: (فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ) (الجمعة:١٠)، وقرأ الباقون (يسيركم) من السير وهو المشي، كما قال: (قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ) (النمل ٦٩) (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ٩٣).

قوله تعالى: (هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡ) (يونس: ٣٠).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاءين (تتلو) من التلاوة لأعمالهم وهي القراءة من كتاب أعمالهم، كما قال تعالى: (فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ) (الإسراء:٧١)، ويجوز أن يكون من (تبع يتبع): أى تتبع كل نفس ما أسلفت من عمل. وقرأ الباقون (تبلو) من الابتلاء وهو الاختبار، أي تختبر كل نفس ما اسلفت من عمل لتجزى به كما قال (يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ) (الطارق:٩) (الكشف ٢/ ٩٤-٩٥).

من سورة هود

(وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ) (هود: ٢٧).

القراءات: قرأ أبو عمرو بهمزة مفتوحة بعد الدال (بادئ) من بدأ يبدأ، أي ابتداء الرأي، والمعنى أنهم اتبعوك ابتداء الرأي، ولم يتدبروا ما قلت ولم يفكروا فيه، ولو تفكروا وتدبروا لم يتبعوك، وقرأ الباقون بياء مفتوحة (باديَ) من بدا يبدو إذا ظهر، والمعنى: وما نراك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والأشراف فيما يُرى ويظهر لنا (تفسير الطبري- سورة هود: ٢٧، حجة القراءات لابن زنجلة ص١٥٠).

قوله تعالى: (إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ) (هود: ٤٦).

القراءات: قرأ الكسائي ويعقوب (إنه عَمِلَ غيرَ

صالح)، والهاء لابن نوح، والتقدير: إن ابنك عَمِلَ عَمَلاً غيرَ صالح، وقرأ الباقون (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) ومعناه: إنِ سؤالك إياي أن أنجي كافرًا ليس من أهلك عملٌ غير صالح (الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص١٠٦).

(ألا إن ثمودًا) تقدم في سورة النجم (قال سلام)، تقدم في سورة الذاريات.

من سورة يوسف

قوله تعالى: (لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ) (يوسف:٧).

القراءات: (آيات) قرأ ابن كثير بحذف الألف بعد الياء على الإفراد ووقف عليها بالهاء، والباقون بإثبات الألف على الجمع ووقفوا بالتاء.

المعنى: قراءة الإفراد جعلت شأن يوسف كله آية على الجملة، كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) (المؤمنون: ٥٠)، وقراءة الجمع تشير إلى اختلاف أحوال يوسف، وانتقاله من حال إلى حال، وفي كل حال جرت عليه آية (الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب ١١٦/٢).

قوله تعالى: (فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ) في الموضعين (يوسف: ١٠، ١٥).

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر بألف بعد الباء على الجمع، والباقون بحذفها على الإفراد، ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب والكسائي، والباقون بالتاء.

المعنى: على قراءة الجمع يراد بالغيابات ظلمات البئر ونواحيها، والبئر لها غيابات أي نواحي تغيب عن النظر، فجعل كل جزء منها غيابة، وعلى قراءة الإفراد: أنهم ألقوه في بئر واحدة في مكان واحد (حجة القراءات لابن زنجلة: ص ١٦١).

قوله تعالى: (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) (يوسف:٢٣).

القراءات: ١. (هِيتَ) بكسر الهاء وياء ساكنة مدية وفتح التاء: قراءة نافع وأبي جعفر وابن ذكوان.

٢. (هِئْتَ)، ٣. (هِئْتُ) قرأ هشام بكسر الهاء وهمزة ساكنة بعدها وفتح التاء (من طريق الحلواني) وضمها (من طريق الداجوني).

٤. (هَيْتُ) بفتح الهاء وياء ساكنة لينة بعدها مع ضم التاء قراءة ابن كثير.

٥. (هَيْتَ) بفتح الهاء وياء ساكنة لينة مع فتح التاء قراءة الباقين.

المعنى: (هَيْتَ) و (هِيتَ) لغتان و(هَيْتُ) بالبناء على الضم، وكلها بمعنى واحد وهو: هلمَّ وتعال وأقبلْ إلى ما أدعوك إليه.

ومعنى (هِئْتُ): تخبر عن نفسها أنها متصنِّعة له ومتهيئة.

واستشكل البعض قراءة (هِئْتَ) إذ كيف تخبره أنـه تهيأ لها، والمعنى على خلاف ذلك، ولكن القراءة صحيحة ومعناها تهيأ أمرك؛ لأنها ما كانت تقدر في كل وقت على الخلوة به، أو المعنى: حسنت هيأتك (فتح الوصيد في شرح القصيد للسخاوي ١٧٤/٢، ولطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني ٢٠١/٥).

قوله تعالى: (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف:٢٤).

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر بكسر اللام (المخلِصين)، والباقون بفتحها (المخلَصين).

المعنى: (المخلِصين): لا يشركون في عبادته أحـدًا، و(المخلَصين): أخلصهم الله عز وجل واصطفاهم (الحجة للقراء السبعة لأبي على الفارسي ٤٢١/٤).

قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) (يوسف:٥٦).

القراءات: قرأ ابن كثير (حيث نشاء) بالنون جعل الإخبار بالفعل لله تعالى؛ لأن المشيئة له، وقـرأ الباقون (حيث يشاء) بالياء جعل الفعل ليوسف (الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ص ١١٢).

(فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ) (يوسف:٦٣).

القـراءات: قـرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء (يكتل) أي يصيب كيلاً لنفسه، فجعل الفعل له خاصة؛ لأنهم يزدادون بحضوره كيل بعير، وقرأ الباقون بالنون (نكتل)؛ وذلك أنهم مُنِعَ منهم الكيل لغيبته، فإذا كان معهم اكتالوا هم وأخوهم (حجة القراءات لابن زنجلة ص: ١٦٤-١٦٥).

وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

خُلُقٌ يُحِبُّهُ اللّه

إعداد: الشيخ: عبده أحمد الأقرع

لحمد لله ولي من اتقاه، ويهدي إلى الطيب من القول من اصطفاه واجتباه، وأصلي وأسلم على من أدبه ربه فأحسن تأديبه فكان مثلاً يُحتذى به ويقتدى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد.

أما بعد:

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة! إن الله رفيقٌ يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه». (مسلم (٢٥٩٣) باب فضل الرفق).

إذن فرسالة الإسلام رسالة خير وبر وسلام، ومبادؤه مبادئ عدل وحب ووئام، ومن مقاصده: إصلاح أحوال العباد في أمور المعاش والمعاد، والحث على الإصلاح، وحماية الناس من طرق الشر والفساد، يدرأ المفاسد، ويجلب المصالح، ويقلل الخلاف، ويحث على الجماعة والائتلاف، ويزجر أبناءه عن العنف والقسوة والجفاء، ويربي أتباعه على التوادد والتراحم، والترابط والتلاحم، في تعامل رفيق، وترابط وثيق.

ولهذا كان المجتمع الإسلامي: مجتمع محبة وصفاء، ومودة وإخاء، وطهر ونقاء، وسلامة وهناء، لا يعرف الحقد والبغضاء، والعنف والشحناء.

فالرجل العظيم كلما ارتفع إلى آفاق الكمال، اتسع صدره، وامتد حلمه، وتطلب

للناس الأعذار، وما أظلت السماء وأقلت الغبراء، أكثر رفقًا، وأعظم حلمًا، من نبينا المصطفى وحبيبنا المجتبى- بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام، وسع خلقه الناس سهولةً ورفقًا وفاضت طبيعته العالية، وسجيته الكريمة المحسن والمسيء، فاستحق هذه الشهادة من الرب الرحيم: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم: ٤)، وهو الموصوف « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ » (آل عمران: ١٥٩).

عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيمًا رفيقًا، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: «ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم». (البخاري- الفتح (٦٢٨)، واللفظ له، ومسلم (٦٧٤).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم. فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: «مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والفحش». قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيُستجاب لي فيهم ولا يُستجاب لهم فيَّ». (البخاري - الفتح (٦٠٣٠/١٠)). سبحان الله ما أعظم هذا الخلق العظيم!!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوه وأريقوا على بوله سَجلاً من ماء، أو ذَنُوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين». (البخاري (٢٢٠)، معنى: «السجل»: هي الدلو الممتلئة ماء).

ففي هذا الحديث فوائد:منها: العذر بالجهل، وأن الإنسان الجاهل لا يعامل كما يعالم العالم؛ لأن العالم معاند، والجاهل متطلع للعلم فيعذر بجهله، ولهذا عذره النبي صلى الله عليه وسلم ورفق به.

ومنها: أن الشرع يقتضي دفع أعلى المفسدتين بأدناهما، يعني إذا كان هناك مفسدتان لابد من ارتكاب أحدهما، فإنه يرتكب الأسهل.

فلهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرجل يبول حتى انتهى، ثم أمر بأن يصب عليه ذنوبًا من ماء؛ دفعًا للمفاسد التي ترتب على منعه: منها: الضرر على هذا البائل؛ لأن البائل إذا منع البول المتهيئ للخروج ففي ذلك ضرر، فربما تتأثر مجاري البول ومسالك البول. ومنها: أنه إذا قام فإما أن يقطع رافعًا ثوبه، لئلا تصيبه قطرات البول، وحينئذ تكون القطرات منتشرة في المكان.

الله أكبر! هذه سمات أهل القلوب الشفيقة، والعقول الراجحة، والأفكار النيرة، وهي من الرجال تدرج في سلم الكمال عقلاً ورزانة.

فالرفق جماع الخير، وطريق محبة الخلق، والوصول إلى الحق ورضى الرب، وأنه ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». (مسلم رقم ٢٥٩٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله». (مسلم ٢٥٩٢).

وإذا كنا نعيش في زمن رفع العنف فيه عقيرته-يعني: صوته-، وتوارى الرفق على استحياء، فنقول: إن العنف في

الإنسان دليل نقص ونزق، معنى: النزق: خفة في كل أمر، وعجلة في جهل وحمق. ومتى اجتمع في فرد عنف وعجلة، ضر نفسه، وأوكسها، وجنى على مجتمعه وأمته أركسها.

وهو لا يحل المشكل من الأمور. يقول ابن القيم رحمه الله: «ومن تأمل ما جرى للإسلام من الفتن صغارها وكبارها، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على المنكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه». (إعلام الموقعين ٣/٤).

ولهذا، لا عجب أن نرى أناسًا داخلهم اليأس، فانفتلوا قبل منتصف الطريق، وفهموا دروب الإصلاح على أنها مواجهة ومناصحة، فحصل بذلك من الفتن ما لا يعلمه إلا الله.

ألا وإن من الرفق: الرفق في الدعوة إلى الله.

أرسل الله موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون: مدعي الربوبية، والمعتدي على مقام الألوهية. فقال تعالى: «اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» (طه: ٤٣-٤٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فينبغي أن يكون عليمًا بما يأمر به، عليمًا بما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه. فالفقه قبل الأمر، والرفق عند الأمر، والحلم بعد الأمر». (مجموع الفتاوى ١٥/١٦٧).

ولذلك قيل: «ما أحسن الإيمان يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرفق، وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم». (إحياء علوم الدين (٣/١٨٩).

فالناصح الأمين شفوق بإخوانه، رفيق بهم، فالرفق يحبب فيك الرفيق، ويدني منك الصديق إذا نزل الرفاق وأنت ممن: بلا رفق بقيت بلا رفيق أما العنف يبعدك عن الصواب، ويجر عليك اللوم والعتاب، ويفقدك الصحاب والأحباب، فلا تقبل منك دعوة، ولا يسمع منك توجيه، ولا يرتاح لك جليس «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» (آل عمران ١٥٩).

وعليه: فلا يتخذ العنف منهاجًا للدعوة والإصلاح، ولقد صح واستقام لدى العقلاء، أن العنف لا يولد إلا عنفًا مثله، وأشد منه، ومهما يكن من أمر، فحلّ الأمور بالرفق والتؤدة والحكمة مطلب ملح، لتحقيق مصالح الأمة من الرعاة والرعية، والحكيم من يضع الأمور مواضعها.

ألا وإن من الرفق: الرفق في الأمور الأسرية، فما كثرت المشكلات، وما عم الشقاق والطلاق، والفراق، إلا بسبب العنف، ومجانبة الرفق في الأمور.

فالرفق في الأمور كلها سرّ النجاح والتوفيق.

إذ بالرفق: تسهل الأمور، ويتصل بعضها ببعض، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وبه يجمع الشتات، فهو إذن جامع الجماعات، وجامع أيضًا للطاعات، وبالطاعات يؤلف الله القلوب، ويجمع الجماعات المتفرقة، ويؤلف بين الجماعات المتباغضة. (فيض القدير ٥/ ٤٦١).

فعلى العبد أن يتحلّى بالرفق، وأن يتخلّى عن العنف، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الدنيا والآخرة». (الصحيحة رقم ٥١٩).

وعن قيس بن أبي حازم، قال: «كان يقال من يُعط الرفق في الدنيا نفعه في الآخرة». (وكيع في الزهد ٣/٧٧٧).

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الرفق في الأمور كلها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

www.magalet-eltawheed.com

موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة ـ عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا
قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513